بر الوالدين
ورعاية المسنين

مسئولية دينية – اجتماعية - مجتمعية

الدكتور علي عبدالله الإبراهيم **الدكتور عادل أحمد المرزوقي**

1433هـ/2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا * إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا }

سورة الإسراء: آية 23

المقدمة

******

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله، خلق الخلق فأحسنه، وفي أحسن صورة أتقنه، فقال جلّ من قائل عليما: [**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**][1]، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإيمان وإخلاص إلى يوم الدين.

وبعد ، ،

فإن الشيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل عمر الإنسان، ولا بدّ له أن يمرّ بها يوما إن طال به العمر. وهي لا تختلف اختلافا جوهريا عن أيّة مرحلة أخرى من مراحل حياته، إلا أن من سمات هذه المرحلة أن يعتري الإنسان بعض جوانب الضعف واعتلال الصحة أو التعرض لمرض نفسي أو عضوي تراكمت نتائجها وظهرت آثارها وقت الكبر.

إنّ التأريخ لعلم الشيخوخة بصورته الحديثة لا يزيد عن الستين عاما، وقبل ذلك كان الاهتمام بهذا العلم بشكل فردي، وبناء على دراسات لحالات معينة، ولما أخذا العالم يتنبه إلى مسألة الشيخوخة، وأخذا هذا العلم ينحى منحا ثان، فتأسست الجمعيات ومراكز البحوث والتي منها " مركز لبحوث الشيخوخة، والذي تأسس في الولايات المتحدة الأمريكية عام **1940**م في مدينة بلتيمور تحت اسم **Gerontological Research Center**، وبعده تأسست الجمعية الأمريكية للشيخوخة عام **1942**م تحت اسم **The American Geriatric Society**، ثم الجمعية الدولية للشيخوخة عام **1950**م تحت اسم **The International Association of Gerontology IAG**.

---

[1] - سورة الروم، آية: 54.

أما أوّل مؤتمر دولي للشيخوخة فقد عُقد في مدينة كييف بالاتحاد السوفياتي عام **1938**م، وفي عام **1950**م عُقد مؤتمر دولي آخر للشيخوخة في أوروبا في مدينة لييج ببلجيكا، وبعدها توالى تأسيس الجمعيات، وعقد المؤتمرات التي أعطت مرحلة الشيخوخة أهمية كبيرة بسبب التزايد الكبير في أعداد المسنين، والذي أصبح بمثابة تحد كبير للكثير من الدول، حتى أعلنت الأمم المتحدة عام **1999**م عاما دوليا للمسنين. حيث سعت من خلال هذا الإعلان لتوفير الحماية لهم بأوسع من مسألة الاتجاه نحو علاجهم، فدعت إلى ضرورة توفير رفاههم من خلال تأمين العلاقة بين السلامة الجسمية والنفسية والاجتماعية والبيئية لهم" [1].

أمّا الإسلام فإنّه تعرض لقضية الشيخوخة وكبر السن، وأعطاها اهتماما خاصا، بل وضمن للمسنين من خلال تشريعاته الواردة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أسسا ثابتة تجعلهم يعيشون على هذه الأرض حياة كريمة طيبة، تحفظ لهم حقوقهم كاملة، وتضمن كرامتهم في هذه الدنيا، ويفوزوا برضى الله تعالى يوم القيامة.

لذلك فإنّنا سعينا في هذه الرسالة أن نلقي الضوء على مرحلة الشيخوخة واحتياجاتها، وما أكرمها الإسلام به من مزايا قلّ وجودها في جميع التشريعات الأخرى.

لقد بذلنا جهدنا لوضع هذا الكتاب بين يديك أيها القارئ الكريم، فما كان من صواب فمن فضل الله تعالى وما كان من تقصير فمن أنفسنا ومن الشيطان ونرجوا الله أن يوفقنا لما فيه الخيروالسداد.

[1] - إسماعيل، عزت سيد: "الشيخوخة في عصرنا الراهن"، المكتب التنفيذي، رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين، ط1، 1992م ، ص49. (بتصرف).

الفصل الأول

مدخل إلى مفهوم المسن

المبحث الأول: تحديد معنى المسن.

المطلب الأول: المعنى اللغوي.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي.

المبحث الثاني: تصنيف المسنين.

المطلب الأول: العاملون المستمرون في العطاء.

المطلب الثاني: الذين ترعاهم أسرهم.

المطلب الثالث: الذين لا معيل لهم.

المبحث الثالث: المتغيرات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة.

المطلب الأول: المتغيرات العقلية.

المطلب الثاني: المتغيرات الجسمية.

المطلب الثالث: المتغيرات النفسية.

المطلب الرابع: المتغيرت الاجتماعية.

المبحث الرابع: إحتياجات مرحلة الشيخوخة.

المطلب الأول: الرعاية الأسرية.

المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية.

المطلب الثالث: الرعاية الصحية.

المطلب الرابع: الرعاية المعيشية.

الفصل الأول

مدخل إلى مفهوم المسن

المبحث الأول: تحديد معنى المسن

المطلب الأول: المعنى اللغوي

تستعمل كلمة المسن غالبا للدلالة على الرجل الكبير في العمر، فهي اسم فاعل لكلمة أسنّ، وهي إمّا أن تكون من السَنَة أي أزالت السنين عمره، أو جاوز بعمره السنين، ويقال: سُنّ الوجه أي بدا مخروطا أسيلا، كأنّ اللحم أخذ منه حيث أصبح هزيلا، ويقال أيضا: ماء مسنون أي متغيّر.

وإمّا أن تكون من السِّنّ أي الأسنان التي في الفم، يقال: أسّنّ أي نبت سنّه، وهو كناية عن كبر السِنّ، ويقال أيضا: أخذ من سنّه أي من عمره، عندما يكبر وتسقط أسنانه [1].

كما تستخدم أيضا كلمات مرادفة للمسن مثل الشيب، الذي يطلق على بياض الشعر، وربما أطلق على الشعر نفسه، يقال: شاب يشيب شيبا وشيبة، ويقال: رجل أشيب وقوم شِيب.

وهي لفظة لا تنعت بها المرأة، ولكن يقال لها: شابَ رأسها، كما قال الشاعر:

عجائز يطلبن شيئا ذاهبا
يخضبن بالحناء شيبا شائبا
يقلن كنّا مرة شبائبا

والمشيب: هو دخول الإنسان في حد الشيب، كما قال عدي:

تصبو وأنّى لك التصابي؟ والرأسُ قد شابه المشيب

---

[1] - مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية، استانبول، د.ط، د.ت، ص456. ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ج3، تحقيق: عبدالله علي الكبير وزملاؤه، دار المعارف، د.م، د.ط، د.ت، ص2122. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **كتاب العين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ص448.

ومن الكلمات المرادفة أيضا **الشيخ** الذي يطلق على من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب، يُقال: شاخ الإنسان شيخا وشُيخوخة، وقد تجمع هذه الكلمة على شُيوخ ومشيخة ومشايخ وشيخة. وتطلق هذه الكلمة غالبا على كبير السن الذي أدرك الخمسين من العمر وعلا عليه الوقار، وأصبح ذا مكانة وعلم وفضل‹1›.

ومنها **العجز**، يُقال: عجز يعجز عجزا فهو عاجز أي ضعيف. والعجوز: المرأة الشيخة، يُقال: عجزت المرأة عجزا فهي عجوز، وتجمع على عجائز أي التي كبرت وأسنّت. وقد تطلق على الرجل، فيُقال: الرجل عجوز والمرأة عجوز. والعُجزة: مؤخرة الشيء، والعجز الذي لا يأتي النّساء أي العنين. والعجزة وابن العجزة: آخر ولد الشيخ، يُقال: ولد لعجزة، أي ولد بعدما كبر أبواه‹2›.

ومنها كذلك **الهرم**، يقال: هرم الرجل هرما، أي بلغ أقصى الكبر وضعف، والهرم: الشيخ الكبير الذي بلغ أقصى الكبر‹3›، وهوالذي استعاذ منه النبي ρ، فعن أنس‹4› τ أنّ النبي ρ كان يقول: (اللهم إنّي أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم ...)‹5›.

وعن أبي هريرة‹6› τ أنّ رسول الله ρ قال: (بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا مُنسيا، أو غنى مُطغيا، أو مرضا مُفسدا، أو هرما مُفندا، أو موتا مُجهزا)‹7›.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي

---

1 - **المعجم الوسيط**، ص502. **لسان العرب**، ج4، ص2373. **كتاب العين**، ص503.

2 -**المعجم الوسيط**، ص585. **لسان العرب**، ج4، ص2817. **كتاب العين**، ص604.

3 - **المعجم الوسيط**، ص983 .**لسان العرب**، ج6، ص4657.

4 – خادم النبي ρ خدمه عشر سنوات، عمّر بدعوة النبي ρ له حتى كان من أواخر من مات من الصحابة، حيث توفي بالبصرة سنة 93هـ.

5 - البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997م، حديث رقم2893، ص892.

6 – عبدالرحمن بن صخر، من كرام الصحابة وكبار رواة الحديث، توفي بالمدينة سنة 59 هـ.

7 - ابن العربي، أبو بكر المالكي: **عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي**، ج9، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص185.

عندما نتحدّث عن الشيخوخة فإنّنا نتحدث عن مرحلة من العمر يصعب تحديدها بالأرقام، أو تعريفها بشكل دقيق متفق عليه بين الجميع، ومع هذا فإنّ الأنظمة الحديثة جعلت سنّ التقاعد فيصلا لعمر الإنسان يفرّق به بين الشيخوخة وما قبلها، وإن كانت هناك فئات كثيرة تعارض هذا التحديد على اعتبار أنّ تحديد السن فيه مغالاة، والحيف على قدرة الإنسان وقابليته للعمل وقدرته على العطاء.

يعتبر تحديد السّن مسألة نسبية تختلف من شخص إلى أخر، فبعضا ممّن بلغ هذا العمر ما زال سالما جسمانيا، وفعالا اقتصاديا، وقادرا على العطاء بشكل كبير، بالمقابل نجد أنّ أناسا لم يبلغوا هذا العمر، ولم يتقاعدوا قد دبّ فيهم الشيب وأقعدهم العجز والمرض.

تبدأ سنّ الشيخوخة مع بداية التقاعد وإنّ غالبية من يصل إلى هذه المرحلة نرى فيهم تراجعا جسديا وعقليا ونفسيا، حدثت بسبب تراكمات صحية ونفسيّة وبيئيّة – أي مؤثرات داخلية وخارجية – خلال سنيّ حياتهم المختلفة، وظهرت هذه المؤثرات عليهم بعد تقاعدهم، أي بعد سنّ الستين أو الخمس والستين، الذي اصطلحه بعض العلماء بعبارة مرحلة الربع أو الثلث الأخير من حياة الإنسان.

إنّ الشيخوخة ظاهرة من الظواهر التي إذا استمرت على الإنسان فستستمر بطريقة غير ملحوظة، وإذا بدأت لا تعود إلى الوراء، فهي " ليست مرضا، وإنّما هي فترة يتغير فيها الإنسان تغيرا فسيولوجيا إلى صورة أخرى ليست بأفضل من سابقتها، لأنّ الصورة الجديدة يصاحبها ضمور في كثير من الأعضاء، وفقدان ملموس للقوة والحيوية، وتزول معها ظاهرة الفتوة والعنفوان ثم ينتهي كل شيء"[1]. كذلك يشير تعريف آخر بأنّها "عملية بيولوجية حتمية، وهي تمثل ظاهرة من ظواهر التطوّر أو النّمو التي يمرّ بها الإنسان، إذ أنّها تعني مجموعة من التغيرات المعقدة في النّمو والتي تؤدي مع مرور الزمن إلى تلف التركيب العضوي في الكائن الحي وبالنهاية إلى موته" [2].

---

[1]- عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية، د.ط، 1420هـ/ 2001م، ص17.

[2]- مركز زايد للتنسيق والمتابعة: "المسنون في دولة الإمارات العربية المتحدة"، دولة الإمارات العربية المتحدة، د.ط، د.ت، ص11.

وقد عرّفها الأستاذ علي فؤاد أحمد بأنّها " المرحلة التي تمثل الثلث أو الربع الأخير من حياة الكائن البشري والتي تزداد فيها نسبيا معدلات الفقد أو التناقص في القوى البدنية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، مثل هذا الفقد والتناقص يحدث ليس بالضرورة لأسباب بيولوجية، بل وغالبا ما يكون نتيجة لعوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية" ‹1›.

بينما لم يشر الدكتور إبراهيم العسل‹2› إلى سنّ معيّنة، وإنّما حدّد السنّ بالعجز والاحتياج إلى الآخرين، فقال: "هو الإنسان الذي تقدّم به العمر، وأصبح عاجزا عن قيامه بالأعمال اليومية والإعتيادية، وهو يحتاج إلى من يعينه على ذلك"‹3›.

وعُرّفت بأنّها " مرحلة تبدأ مع بداية الإنسحاب من عملية الإنتاج أو الإنسحاب من عِداد القوى العاملة "‹4›. وبهذا ينتفي العمر التاريخي والزمني للشيخوخة، وإنّما ترتبط شيخوخة الشخص بعطائه وانتاجيته، فعندما يقل عطاءه وإنتاجه في مرحلة معينة، سواء كان صغيرا أو كبيرا فإنّ شيخوخته تكون قد بدأت حين ذاك.

وتشير وثائق الأمم المتحدة إلى تعريف الشيخوخة على أنّها عملية مستمرة من التغيرات التي تصاحب المرحلة الأخيرة من حياة الإنسان، أكثر منها تعبيرا عن فترة ثابتة محدّدة من حياته.

ومن خلال كل هذا نخلص إلى ما يأتي:

1- فؤاد، علي أحمد: "الأبعاد الإجتماعية لرعاية المسنين"، المكتب التنفيذي، رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين، ط1، 1992م، ص177.

2 – أستاذ في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية وجامعة جنان، من مؤلفاته كتاب الجهاد، وكتاب التنمية في الإسلام.

3- العسل، إبراهيم حسين: "الإسلام ورعاية المسنين"، مجلة التقوى، العدد93، ربيع الأول 1421هـ/2000م، ص8.

4- الخيمي، إنتصار: "الرعاية الاجتماعية والاقتصادية للمسنين"، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ندوة رعاية المسنين، الجمهورية العربية السورية، وزارة التعليم العالي، دمشق 10-11 ذي القعدة 1420هـ/14-15 شباط 2000م، ص88.

1- تحديد الشيخوخة بشهادة الميلاد لايكون تحديدا سليما لمرحلة الشيخوخة، وإنّما حدّدت بالسنّ ما بعد الستين لتكون فاصلا يمكن الإستناد عليه في الأنظمة الحديثة بالنّسبة للتقاعد والتأمين الاجتماعي وغير ذلك.
2- الشيخوخة عبارة عن تطور طبيعي للإنسان في سلسلة من مراحل عمرية يمرّ بها خلال سني حياته، من خلقه جنينا حتى وفاته، قال الله تعالى: **[هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]** [1].
3- الشيخوخة عبارة عن مرحلة ليست بالضرورة أن تكون مرتبطة بالمرض ولا مرادفة له، وإن كانت الأمراض تكثر في هذه المرحلة فإنّها دخيلة عليها بسبب تراكمات السنين.
4- ارتباط مرحلة الشيخوخة بالضعف والاحتياج إلى الآخرين.

المبحث الثاني: تصنيف المسنين

يمرّ الإنسان بمراحل متعددة حتى يبلغ المرحلة التي تعرف بمرحلة الكبر، أو الشيخوخة، والتي تتضمن ثلاثة أصناف من كبار السنّ هم ما يأتي:
1- المتقاعدون العاملون والمستمرون في العطاء.
2- المتقاعدون الذين ترعاهم أسرهم.
3- المتقاعدون الذين انقطعت بهم السبل ولا معيل لهم.

المطلب الأول: العاملون المستمرون في العطاء

هم الفئة التي لازالت تعمل وتؤثر في المجتمع وتساهم في تنمية اقتصاديات المجتمعات وتطورها وذلك لعطائهم وجهودهم وتفكيرهم وخبرتهم واستمرارهم في العمل. وهؤلاء يظهرون تقبلا لمرحلة الشيخوخة ويهتمّون بها ويعدّون العدّة لها ويستعدون لمواجهتها ويحاولون التعرف على التغيرات والتطورات التي سوف تحدث لهم ويتهيأون للتكيف معها.

[1]- سورة غافر، آية: 67.

إنّها الفئة التي تؤمن بالواقعية وتسعى إلى دراسة المشكلة بكل موضوعية وتعمل على معالجتها وإيجاد الحلول لها.

المطلب الثاني:الذين ترعاهم أسرهم

إنّ رباط الأسرة هو من أقوى الروابط الاجتماعية، فالأسرة تحفظ للمجتمع تراثه وقيمه ومبادئه، وتلقن الفرد مبادئ وأساسيات الحياة الاجتماعية والمسئولية، وتربّي لديه الوعي والسلوك الاجتماعي، وترشده إلى رعاية الكبار والعناية بهم وكفالتهم.

فعندما يوجد في الأسرة سلوك التراحم والتواد بين أفرادها، حيث يرعى الوالدان أولادهم صغارا، ويرحم الأولاد والديهم كبارا، ويعطف القوي على الضعيف، ويوقر الصغير الكبير، ويعرف كل واحد منهم ما للآخر من حقوق ويراعيها، عندئذ سيساعد كل فرد الآخر، ويسود بينهم الجو الأسري المتعاون المتكاتف.

هذا ما يأمله كل مسن في أسرته، حيث يعتبر أفرادها أقرب الناس إليه، وأحبّهم إلى نفسه، لقد عمل وبذل الجهد خلال فترة طويلة من حياته على أمل أن يكون سعيدا في نهاية عمره، يجلس هانئا قرير العين بين أهله وأولاده، إلى أن يأتي أجله.

كم هو جميل أن يبقى المسن بين أفراد أسرته وبين " أهله عزيزا مكرما، يستمد ممّن حوله الأمان والإطمئنان، ولا يقع فريسة القلق والخوف، ولا يعاني من الوحدة وذل الحاجة "[1] وهناك الكثير ممّن فقدوا هذه العناية والرعاية من أسرهم.

المطلب الثالث: الذين لا معيل لهم

هناك صنف من المسنين انقطعت بهم السبل، فلا أهل لهم ولا أولاد يرعونهم، ويعطفون عليهم، ويأوونهم. وصنف آخر لهم أولاد وأقارب لكنهم جافوهم، وتبرأوا منهم، ونبذوهم، هؤلاء تتكفل الدولة بهم، فترعاهم في دُوُر العجزة أو دُوُر المسنّين، حيث تقدم لهم العناية الصحية والنّفسية والخدمة الفندقية من المأكل

[1] - العسل: "الإسلام ورعاية المسنين"، مجلة التقوى، ص10.

والمشرب والملبس، يقضون بقيّة حياتهم في حزن وكآبة، وأكثرهم يتمنى خلاصا ممّا هو فيه.
تعتبر الدولة مسئولة عن هؤلاء، فعليها إكرامهم والمحافظة عليهم، حيث أنّهم قدّموا ما عليهم، وأدّوا واجبهم وساهموا في خدمة المجتمع، هؤلاء المنقطعون لا معين لهم ولا معيل غير الدولة التي تحفظ عليهم كيانهم وسلامتهم وإنسانيتهم، حتى لا يودّعوا الدنيا وهم ساخطون على المجتمع وعلى الذين أفنوا حياتهم من أجل إسعادهم.

المبحث الثالث: المتغيرات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة

إنّ التعامل مع الكبار- وخاصة في عصرنا الحالي – أصبح فنّا يتطلب معرفة وذوقا، لذلك وحتى نتمكن من معايشتهم لا بد لنا أن نفهم طبيعتهم والمتغيرات التي تحدث لهم والتي حدّدت بأربعة: هي المتغيرات العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية.

المطلب الأول: المتغيرات العقلية

يتعرض كبير السن إلى مجموعة من المتغيرات العقلية المتفاوتة في درجة تأثيرها وأهميتها، وهي تحتل أهمية كبيرة ليس فقط على حياة المسن نفسه، بل على عائلته وربّما على من حوله، ومن أهمها:

1- الذاكرة:

يعتبر النّسيان من أبرز صفات الاعتلال التي تصيب ذاكرة الشيوخ أو كبار السن، بل هو من المسلمات التي علقت بذهن الكثير من الناس، لكن الحقيقة تبيّن أنّ "هناك ذاكرات متعددة لا ذاكرة واحدة فحسب، وأنّ بعض الذاكرات تضعف لدى الشيوخ دون باقي الذاكرات، فذاكرة الأسماء تضعف لديهم باستثناء الأسماء التي لها دلالة وجدانية في عاطفة الشخص المسن، ولعل ذاكرة الوقت وذاكرة الأيام أيضا تضعفان إلى حدّ ما في الشيخوخة"[1]، ولكن الملاحظ أيضا أنّ ذاكرة الطفولة أو الأحداث الهامة التي حدثت للشيخ

[1]- أسعد، يوسف ميخائيل: رعاية الشيخوخة، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2000م، ص75.

في طفولته تبقى مرتبطة في ذهنه بقوة كبيرة "مثال ذلك التواريخ القديمة وأحداث الشباب وبعض الشخصيات التي كان لها تأثير في حياة المسن أو في تاريخ المجتمع الذي يعيش فيه، ولذلك يحلو للمسنين الخوض في الماضي والحديث عن الذكريات القديمة وتكرارها بصفة مستمرة، وأحيانا مملة للمستمعين"[1].

2- التفكير:

من المظاهر الشائعة عند المسنين ظاهرة ضعف التفكير عندهم، ومن أسباب ضعفها تضاؤل الروافد الحسّية المغذية للمخ من السمع والبصر، وهذا ما يؤدّي إلى بطء المسن وتروّيه، بل وحذره في اتخاذ القرار.

ومن أهمّ الأمور المؤثرة على المخ والتي بدورها تؤدّي إلى عطب في التفكير" ضُمور خلايا المخ أو حدوث مرض به أو إصابته بحادث، وقد يرجع عطب التفكير إلى بعض الصدمات العاطفية الانفعالية"[2] التي تعرّض لها الإنسان خلال سنوات عمره أو في فترة زمنيّة حسّاسة من حياته.

لهذا فإنّ التفكير عند المسنّين يتميز غالبا بالبطء والتروّي وهو ما يعطيهم صفة الحكمة. وإذا جمعنا إلى هذا حصيلتهم من التجارب والمعلومات اتّضح لنا كيف أنّهم "لا يثقون عادة في التجارب الجديدة والافكار الحديثة، وتتركز ثقتهم دائما على القديم الذي ألفوه وعاصروه هم، ولذلك ليس بمستغرب نقدهم الدائم للأجيال التالية "[3] الأمرالذي يخلق المشاكل بين طريقة تفكيرهم وآرائهم، وطريقة تفكير الشباب وآرائهم، وكذلك تذمّرهم من كل ما هو جديد وحديث.

3- الخيال:

من المفاهيم الشائعة عند الكثيرين أنّ خيال الإنسان يشوبه شيء من الضعف كلما تقدّم به العمر، بدليل أنّ لغته تأخذ في النضوب بحيث أنّه لا يستطيع التعبير وأحيانا الكلام، ولكن الواقع أنّ هذه المفاهيم ليست في محلها "فالشيخ يسبح بخياله

---

[1]- عريقات، أسامة: نافذة على الشيخوخة، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1412هـ/1991م، ص25.
[2]- أسعد، يوسف ميخائيل: رعاية الشيخوخة، ص72.
[3]- عريقات، أسامة: نافذة على الشيخوخة، ص26.

في الأشياء التي سبق له اختزانها، وفي نفس الوقت فإنّ الشيخ يستطيع أن يركب صورا خيالية متعددة من المحصول الخبري الحسّي الذي سبق له أن حصل عليه، ناهيك عن أنّ الشيخ يستطيع أن يركب صورا خياليّة متعدّدة ومركبة للغاية، من الصور الخيالية التي يكون قد ركبها قبلا" [1]، أمّا بالنّسبة للضعف الذي يصيب لغته فإنّه يكون له دافعا كي ينتقي كلماته بحذر ليتجنب الخطأ أثناء كلامه.

4- القدرة على التعلم:

يقل مستوى تعلم الشخص كلما تقدم في العمر، وينخفض هذا المستوى إلى أدنى الدرجات في سنوات العمر المتقدمة، وما هذا إلا بسبب الانحدار في الأداء الوظيفي للجهاز العصبي المركزي، مما يؤدي إلى ضعف الذاكرة، وكثرة النسيان، وصعوبة تعلم الجديد. لقد تبين أنّ "الإبداع والإنتاج يبلغان قمتهما أثناء أواسط العمر عادة فيما بين الخامسة والعشرين والأربعين بالنّسبة للعلوم الطبيعية والرياضيّات وكذلك الموسيقى، وحتى الخامسة والأربعين في الكتابة والفنون، وحتى الخامسة والثلاثين في الدخل* والألعاب الرياضية"[2]، يعود هذا التراجع في القدرة على التعلم عند الكبار إلى تصلبهم وتعصبهم لآرائهم، وعدم ثقتهم عادة في التجارب الجديدة والأفكار الحديثة، ووثوقهم بالقديم الذي ألفوه، لهذا ينتقدون الجديد، ويعارضون الشباب.

إنّ الكثير من التغيرات العقلية التي تصيب المسن إنّما ترجع أولا وقبل كل شيء إلى ما قد يصيب المخ من ضمور أو تلف بسبب الكبر أو بسبب ماتعرض له الشخص خلال سني حياته لمواقف أو صدمات عاطفية وانفعالية ظهرت آثارها عليه عند كبره.

المطلب الثاني: المتغيرات الجسمية

يتعرض جسم الإنسان خلال مسيرة حياته العمرية، وتحديدا عند مرحلة الشيخوخة إلى تغيرات تصيب جميع أجزاء جسمه وبدرجات متفاوتة من شخص

---

[1]- أسعد، يوسف ميخائيل: رعاية الشيخوخة، ص75.

(*) الدخل: هكذا في الأصل المنقول منه وربما قصد بها الألعاب المتداخلة في بعضها.

[2]- العبد، حامد عبدالعزيز: "الشيخوخة خصائصها ومراحلها ووسائل علاجها"، المكتب التنفيذي، رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين، ط1، 1992م، ص20.

لآخر، وهذه التغيرات يشترك فيها معظم الأجناس البشرية، وهي تتسم بالتدهور والضعف والاضمحلال سواء في التركيب أو الوظيفة.

كذلك فإنّ بعض هذه التغيرات " ظاهرة ومرئيّة كما هو الأمر في المظهر الخارجي للفرد المسن، كالتغيرات التي تحدث لجلده ووجهه ويديه، ونجدها كذلك عند اتصالنا بحواسه كثقل السمع، أو في مقدرته الحركية كالبطء في المشي، أمّا البعض الآخر فهو غير مرئي كالتغيرات الداخلية التي تحدث للهيكل العظمي والأحشاء"[1]، وأيضا منها ارتفاع ضغط الدم، وآلام المفاصل والتهاب القصبة الهوائية وتضخم البروتستات وغيرها، ورغم هذه التغيرات إلا أنّها تتسم بفروق فردية من شخص لآخر، فمن الصعب أن نجد شخصين في عمر واحد يراودهما تدهور جسمي بنفس الحجم. أهم هذه التغيرات هي الآتية:

1- البنية الخارجية:

يسري الوهن في العظام حيث تصبح أقلّ تماسكا وتكون قابلة للتكسّر والتهشم، وتصبح العضلات ذات توتر، وتزداد الرّعشة في يده وجسمه، وتنخفض تدريجيا قوته الجسميّة[2]، كما أنّ الأسنان تتعرض للتلف وبالتالي تنهار، ويتدهور الفكان بشكل واضح، "ومن ثمّ يجد المسن صعوبة في مضغ ألوان الطعام المختلفة، هذا بالاضافة إلى أنّ الطعام يقل مذاقه ونكهته"[3]، الأمر الذي يؤدي بالمسن إلى استخدام الأسنان الصناعية المؤقتة، والتي تؤثر بدورها على نطقه وكلامه، وأيضا تستدعي هذه الأسنان مراعاة نوعية غذائه الذي يجب أن يكون بعيدا عن الصلابة والخشونة واليبوسة.

2- الطول والوزن:

قام الباحثون بإجراء الدراسات على التغيّرات التي تحدث على جسم الإنسان بالنّسبة للطول والوزن فاستنتجوا أنّ طوله يبقى " ثابتا بعد حوالي العشرين من

---

[1]- العمران، هالة: "التوافق عند المسنين"، المكتب التنفيذي، رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين، ط1، 1992م، ص68.

[2]- عيسوي، عبدالرحمن: اضطرابات الشيخوخة وعلاجها، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1989م، ص44. (بتصرف).

[3]- عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، ص150.

العمر، أمّا الوزن فيتغير بتغير وزن دهنيات الفرد وبطنه، بينما نجد أن **10%** من وزن المراهق يتكون من دهنيات، وأنّ هذه النّسبة تزداد إلى**20%** من وزن الفرد في أواسط عمره"[1] ثمّ يفقد الجسم هذه الدهنيات كلما تقدم به العمر، الأمر الذي يؤدي إلى نقصان وزنه، وبالتالي تأثيره على الصورة والمظهر العام لجسم الفرد من ناحية حيويته ونشاطه وقوته ومظهره.

3- الجلد:

من المظاهر الواضحة التي تظهر آثارها على الشيخ فقدان الجلد لنعومته وبريقه، حيث يصبح جافا، " وتظهر التجاعيد والزوائد الجلدية، ويفقد جزءا من الطبقة الدهنية تحت الجلد ... وتظهر الأوعية الدموية تحت الجلد بشكل واضح، وتزداد القابلية للنزف تحت الجلد بظهور بقع زرقاء أو وردية تمثل أنزفة صغيرة أو كبيرة مما يؤدي إلى تغير لون الجلد نفسه "[2].

4- السمع:

تأخذ حاسّة السمع بالضعف تدريجيا بسبب تصلب الأهداب المبطنة للأذن، وتجمّع الصملاخ (الأوساخ) داخلها، وكذلك تتصلب عظام الأذن الداخلية، فتكون الأصوات ذات الترددات العالية مزعجة كثيرا للمسن، ويلاحظ " أنّ بعض المسنين يتحدثون بصوت مرتفع كي يسمعوا صوتهم، وهذا يشكل صعوبة في الاتصال والتفاعل مع الآخرين "[3].

5- البصر:

تفقد العين الكثير من مرونتها وبريقها، الأمر الذي يؤدي بالمسن إلى الشعور " بعدم قدرته على رؤية الأجسام القريبة بوضوح، وبحاجة إلى نظارة لتصحيح الإبصار ... ومن التغيرات الهامّة في حاسّة البصر عند المسن هو فقدان القدرة

---

[1]- العبد، حامد عبدالعزيز: "الشيخوخة خصائصها ومراحلها ووسائل علاجها"، ص68.
[2]- عريقات، أسامة: نافذة على الشيخوخة، ص20.
[3]- عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، ص150.

على الإبصار في الظلام، وهنا تتضح أهمية الاضاءة الكافية في أماكن المسنين سواء الحجرات أو الممرّات أو دورات المياه وأماكن تحركهم المختلفة"[1].

6- الأنف:

يعتري الأنف أو حاسّة الشم عند الإنسان بعض الضعف بتقدم العمر، وهذا الضعف في الحاسّة له أخطاره على حياة الشخص وخصوصا إذا ما استفحل، وأكثر الأخطار المحدقة به من هذا دخان الحريق ورائحة الغاز.

7- الشعر:

يتأثر شعر الانسان وخصوصا في مرحلة الشيخوخة، حيث يفقد قوته وبريقه ويتحول إلى " اللون الرمادي أو الأبيض بسبب قلة إفراز مادة الميلانين التي تصبغ الشعر بلونه الطبيعي، ويكثر سقوطه، ما ينتج عنه الصلع عند الرجال، ويخف بشكل واضح عند النّساء"[2].

هذه التغيرات تعتبر طبيعية في هذه المرحلة من عمر الإنسان، وهي غالبا ليست تغيرات مَرَضية، ولكن رغم هذا فإنّ معرفتها من الأهمية بمكان، حيث نتمكن من خلالها تشخيص الأمراض التي قد تصاحب أو تخالف هذه التغيرات الطبيعية عند المسنين، ومن ثمّ علاجها واستدراكها في الوقت المناسب والقضاء عليها قبل أن تستفحل.

المطلب الثالث: المتغيرات النّفسية

يمرّ الإنسان خلال مرحلة الشيخوخة بمتغيرات كثيرة في حياته العملية والأسرية والأدبية، والتي تؤثر بشكل كبير على نفسيته، ومن أهمّها ما يأتي:

1- الدخل غير الكافي وخصوصا بعد التقاعد من العمل.

2- الفقر واضطراره للحياة في ظروف معيشيّة منخفضة ماديّا ومعنويّا.

3- عدم الأمان الوظيفي أو عدم الاطمئنان على مستقبل المهنة أو العمل.

---

[1]- عريقات، أسامة: نافذة على الشيخوخة، ص20.

[2]- عريقات، أسامة: نافذة على الشيخوخة، ص20.

4- الاتجاهات الاجتماعية السلبية نحو كبار السن، والتي تسبّب لهم شعورا بالأذى والألم.

5- عدم توفر فرص عمل تناسبهم بعد التقاعد.

6- عدم وجود برامج لقضاء أوقات فراغهم.

7- عدم توفر التوجيه والإرشاد والعلاج النفسي المناسب لهم.

8- فقدان المكانة الاجتماعية، والدور الذي كان يضطلع به في المجتمع.

9- تعرّضه للأمراض التي تسبّب انقطاعه عن الكثير من شئونه الخاصة.

10- فقده لأصحابه، إمّا لموتهم أو لتقاعده عن العمل.

11- بعد أولاده عنه لزواجهم أو انشغالهم في أعمالهم الخاصة[1].

هذه بعض العوامل أو أهم الأحداث التي تؤثر بشكل كبير ومباشر على نفسيّة المسن، ولكن هل نعتبر هذه نهاية المطاف لهم ؟

إذا تهيأت للمسن الخدمات الرعائية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال أسرته أو من خلال القوانين التي تشرعها الدولة للمحافظة عليه وعلى أسرته، يمكن الأخذ بيده نحو حياة أفضل وعيشة هنيئة مستقرة.

إنّ أهم المتغيرات النفسية التي تعتري المسنين في هذه المرحلة هي الآتية:

1- <u>الغضب لأتفه الأسباب</u>:

وهذا بسبب شعور المسن بانصراف الناس عنه، وكأنّه غير مرغوب فيه، ممّا يؤدي به إلى أن يحقد على من حوله، ويرتاح لمن يبتسم له، ويقدّر مشاعره.

2- <u>الأنانية</u>:

من السلوك الذي يعتري المسن أيضا التمركز حول الذات، ومحاولة الاستئثار باهتمام الغير له، ولفت الانتباه إليه، بل يزيد حرصه على ممتلكاته خوفا من المستقبل، وغالبا يقبض يده عن مساعدة الآخرين.

---

[1]- عيسوي، عبدالرحمن: اضطرابات الشيخوخة وعلاجها، ص76-78.(بتصرف).

3- العناد:

وهو من المتغيرات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة أيضا، حيث نجد هذا الشيخ يثور ويصر على موقف معين، ولكن عندما تتكشف له حقيقة خطأ موقفه، نجده مصرّا عليه، ويحاول بكل الطرق أن يبيّن صحة وصواب ما ذهب إليه، وذلك كي يثبت للآخرين أنّه مازالت له مواقفه وحكمه التي يستطيع بها أن يضاهي الآخرين.

4- إهمال المظهر:

قلما نجد شيخا يكترث بملابسه ومظهره كثيرا، وهذا نتيجة حتمية، وتعبيرا عن الانسحاب بدرجة ما من الحياة، وعدم الاكتراث بها.

5- الشك:

ينتاب كثير من المسنين حالات الشك من الآخرين، وعدم الثقة بهم، وخاصة في الأمور المستحدثة، بل وينتقد تصرفات الآخرين باستمرار، حيث يظهر إعزازه بماضيه وأجياله فقط.

6- الإحساس بالوحدة:

وهو من مشكلات المسنين الأساسية والتي تبدأ عنده ببعده عن الآخرين، وعن النشاطات الفعالة التي تشغل وقته، وتتفاوت نسبته من مسن إلى آخر حسب ظروف المسن العملية والعاطفية والعائلية ... الخ [1].

7- السلبية:

يحلو للمسن أحيانا أن يقف من البيئة المحيطة به موقف المتفرج أكثر من المشارك، وهذا السلوك غالبا ما يكون تعبيرا عن الهوة السحيقة التي تفصله عن الأجيال الجديدة، وتتحول أحيانا هذه السلبية إلى أن يسخر ويتهكم من كل الناس وكل شيء حوله، بل وأحيانا نجده ينقم على ذاته أيضا.

---

[1]- عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، ص157-161. (بتصرف).

8- الاعتزاز بالماضي:

ينصبّ إعجاب المسن بماضيه على ما أنجزه من أعمال وما قدّمه من مآثر، وما أنجبه من أبناء وبنات، ونراه يكرر الحديث عن إنجازاته هذه باستمرار على أجياله، بل ونراه يبكي أحيانا حنينا لتلك الأيام، وتلك الأعمال التي يعتبرها من مفاخره.

المطلب الرابع: المتغيرات الاجتماعية

تعتبر مرحلة الشيخوخة بالنّسبة للكثير من المسنين مرحلة العزلة والوحدة، والزهد في الحياة الدنيا، خصوصا أنّ الإنسان عندما يكبر تقل حركته وتنقلاته، ويكبر أبناءه وأقاربه، وتكون لهم استقلاليتهم سواء في السكن أو في العمل، ويزيد في عزلته أيضا "زواج الأولاد وموت الزوج أو الزوجة والضعف الجنسي والمرض أحيانا، مما يقلل من دائرة الاتصال الاجتماعي"[1].

إنّ أكثر المسنين يكون لديهم اعتزازهم بماضيهم، وتمسكا بمبادئهم لذلك فإنّ الاتجاهات الاجتماعية تزداد رسوخا لديهم ويصعب تغييرها، بل ونجدهم يقاومون أي اتجاه نحو التغيير، ويتعصّبون لآرائهم وأفكارهم القديمة.

لذلك فإنّ التأقلم الاجتماعي النابع من الذات لدى المسنين في هذه المرحلة يصعب وجوده، وإنّما يظهرون هذا التأقلم والرضا بسبب عجزهم، وقلة حيلتهم، وإلا واجهوا عزلة اجتماعية أكبر من الجيل اللاحق، بسبب اختلاف الآراء والاتجاهات بين الجيلين.

هذه بعض المتغيرات التي تنتاب المسنين وتترك عليهم بصمة كبيرة تسيّر من خلالها حياتهم، ونراهم بعد هذا " يستسلمون لليأس ولا يرون في مستقبل حياتهم أيّة بارقة أمل، ولا يلتمسون في مقومات وجودهم ما يحملهم على الإحساس بالسرور والبهجة. والواقع أنّ هذا إنّما يعزى في المقام الأول إلى أنّ الشيوخ يعتبرون أيام البهجة قد ولت، وأنّ ربيع العمر قد فات، وأنّ خريفه قد أقبل عليهم يجثم بكلكله فوق صدورهم، ولا يتركهم إلا وقد وُرُوا الثرى بعد أن يكونوا قد ذاقوا من كأس الأمراض المرّ شرّ المذاق، وقد أوجعتهم العلل، وأخذت جذوة

[1] - حسن، نورهان منير وزميلها: الرعاية الاجتماعية للمسنين، المكتبة الجامعية، اسكندرية، د.ط، 2000م، ص32.

الصحة في أبدانهم تخبو شيئا فشيئا، مما يجعلهم في موقف من حكم عليه بالموت البطيء إمعانا في تعذيبه والتنكيل به"[1].

لهذا فإنّ مرحلة الشيخوخة تتطلب جهودا كبيرة من أجل رعايتها عقليا وجسديا ونفسيا واجتماعيا على أكمل وجه، وأن تتوفر مهارات خاصة فيمن يتعامل معها، مع ضرورة التأكيد على أنّ الشيخوخة ليست مرادفة لليأس والقنوط من الحياة، بل هي مرحلة طبيعية من مراحل عمر الإنسان، وهي أيضا ليست مرحلة مَرَضية، وهي قابلة أن تجعل المسن يعيش عيشة هنيئة طيّبة إذا ما أخذ بأسبابها، وروعيت ظروفها.

المبحث الرابع: *احتياجات مرحلة الشيخوخة*

إنّ المشكلات التي تواجه المسنين في مرحلة الشيخوخة كثيرة ومتنوعة من حيث طبيعتها وخصائصها واحتياجاتها، الأمر الذي يتطلب منا الاهتمام بهم، وتقديم الرعاية التامة لهم، وتوفير ما يحتاجون إليه من العناية، ونكتفي هنا بعرض بعضها مصنفة كالآتي:

المطلب الأول: الرعاية الأسرية

من الحقائق التي لا تخفى على أحد أنّها لا توجد علاقة إنسانية أكثر أهمية من علاقة الأبناء بالآباء، وهذه العلاقة تعتبر اللبنة الأولى للأسرة، والنواة الأساسية للمجتمع السليم، لهذا نرى مدى عناية الدين الإسلامي الحنيف بهذه العلاقة، وحثه على تقوية أواصرها "ببيان الحقوق والواجبات، والآداب، والإلتزامات، في هذه الخلية الاجتماعية الأساسية.

لقد أوفى الإسلام كل جوانبها النفسية والاجتماعية والحقوقية بالأحكام التفصيلية التي تصونها وتنميها، وتجعلها أداة إصلاح لنفسها ولما حولها" [2].

---

[1]- أسعد، يوسف ميخائيل: رعاية الشيخوخة، ص40.

[2]- إسماعيل، صبحي: "بر الوالدين كيف يتحقق؟ "، مجلة الفرحة، العدد 62، الكويت، نوفمبر 2001م، ص21.

فالأسرة إذن هي النظام الأمثل، والمكان الأكثر تأثيرا في التخفيف من أعباء وآثار الشيخوخة على الشخص، وأنّ ما يقدّمه أفرادها من الرعاية والعناية تفوق في تأثيرها النفسي والمعنوي كل ما تقدمه الدولة من العون المادي، كما أثبتت الدراسات الحديثة.

يقول رفعت عبدالباسط في دراسة تقويمية للخدمات التي تقدمها المؤسسات الإيوائية للمسنين: إن للأسرة دور هام في " رعاية المسنين، وإشباع احتياجاتهم الاجتماعية والصحية والنفسية والاقتصادية، بل ومساعدتهم على زيادة فرص تكيّفهم في المجتمع مع الأقارب والجيران والأصدقاء وزملاء العمل السابقين، بل والأصدقاء الجدد الذين يدخلون حياتهم بعد بلوغهم سن المعاش _ ومن أدوارها أيضا _ تدريبه وتوجيه سلوكه وانفعالاته وتصرفاته بما يسهم في زيادة فرص تشكيل شخصيته التشكيل الجديد المتوافق مع متطلبات هذه الحياة الجديدة، وبما يسهم بالفعل في إشباع حاجاته، ومساعدته على التوافق الشخصي والاجتماعي" ‹1›.

إذن كل هذه المهام والأدوار تقع على كاهل الأسرة، وهي ليست أثقال وإنّما هي واجبات تجاه إنسان عمِل وجدّ وقدم التضحيات حتى استطاع إيصال هذه الأسرة إلى برّ الأمان، بعدها أفلا يستحق منها العناية والرعاية ؟

ثم إنّ دعم المجتمع _ من الأهل والجيران والأصدقاء وحتى الدولة _ لأسرة يسكن فيها مسن شيء مهم لا يمكن إغفاله، سواء كان هذا الدعم ماديا أو معنويا، وهو يعتبر نوع من التكافل الذي يجب أن يتواجد بين المسلمين.

بما أنّ اعتماد أغلب الأسر كان قائما على دخل هذا المسن، فإنّه بعد التقاعد لا بدّ أن تتضعضع أحوال أسرته ماديا. فحريّ أن تمدّ يد المعونة إليها كي تقوم بواجبها على أحسن حال، خصوصا إذا تبين أنّها المكان الأنسب لهم "حيث الأبناء والأحفاد والأخوة، حيث دفء مشاعر المحبة والتوقير والإحترام، حيث الحنان الفياض من قلوب مؤمنة تدين لهذا المسن" ‹2›.

فالمطلوب هو تعزيز دور الأسرة التي تقدم الدعم والمساعدة والرعاية لكبار السن، سواء كان هذا الدعم في الأسرة نفسها أو أنها متواصلة مع أسرة فيها

---

[1]- محمود، رفعت عبدالباسط: "دراسة تقويمية للخدمات المقدمة للمسنين في المؤسسات الإيوائية"، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، المجلس القومي للخدمات حول الرعاية المتكاملة للمسنين في مصر، المؤتمر الإقليمي الأول لرعاية المسنين 3-5 أبريل 2000م، جامعة حلوان، ج1، ص224.

[2] - العسل، إبراهيم حسين: "الإسلام ورعاية المسنين"، مجلة التقوى، ص10.

مسن، أو أن تكون راعية لمسن في دار المسنين ومتواصلة معه، فعلى الجهات المسئولة توفير ما تحتاجها هذه الأسر من الأمور المادية والمعنوية.

وعلى الأسرة أن تحرص على بعض الأمور عند تعاملها مع المسن، ومنها:

1- أنّ المسن يحتاج إلى الحنان والعطف والرعاية.
2- عدم الإلحاح ومطالبته بأشياء لا يحبها.
3- يجب إعطاءه الوقت الكافي لإنجاز مايريد عمله.
4- عدم مؤاخذته على تصرفاته في الأسرة، ومعرفة أنّ هذه التصرفات إنّما هي بسبب متغيرات الشيخوخة، التي يجب أن نتصرف معها بحكمة ودراية.
5- إتاحة الوقت الكافي له لإبداء ما يريد قوله، مع إعطائه أهمية بالغة لحديثه، والإقبال عليه كليا.
6- إعطاؤه الحرية الكاملة للتصرف في أمواله وفق الطريقة التي يشاء، إلا أن يكون غير مدرك لفعله ومتحكم في إرادته.

وكم يغمر المسن من مشاعر الفرحة عندما يشعر أنّ الأسرة بأفرادها توليه الإهتمام والرعاية والعناية، فتسري في نفسه روح الحياة.

إنّ القيم الإسلامية والتقاليد العربية المتوارثة لا يزال لها الأثر الكبير في الحفاظ على مكانة المسن في الأسرة، والعناية به " ولذلك فإنّ غالبية المسنين في بلادنا تظل تنعم بالرعاية المنزلية وسط الأسرة، ولا يزال الناشئة في بلادنا يرتعون في رعاية أجدادهم وجداتهم، ويتعلمون من آبائهم وأمهاتهم كيف يكون الحَدَب على رعاية الأجداد والكبار على وجه العموم"[1] وليس هناك أي وجه مقارنة بيننا وبين المجتمعات الغربية، التي أصبح المسن فيها شيئا غريبا ومنبوذا ومهملا، وإن لم يحتط هو ويعمل شيئا لنفسه قبل فوات الأوان، فلا أحد ينفعه، ويصبح وحيدا على هامش الحياة ومحبوسا في دار العجزة.

المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية

[1] - درويش، بسام علي: "مراجعة شاملة للمفاهيم السائدة عن المسنين"، جريدة البيان، دبي، الأربعاء 21 ذي الحجة 1419هـ/ 7 أبريل 1999م، ص3.

يعتبر الحرمان الاجتماعي من أهم الضغوط التي يتعرض لها المسن والتي تحتاج لعناية ورعاية خاصة، مع مراعاة متطلبات حياته المختلفة، ومن أهم أسباب هذا الحرمان فقد المسن القدرة على حرية الاتصال بالآخرين بسبب تقاعده عن العمل وعجزه ونضوب موارده المادية وضعف قواه الجسدية التي ترافقه جنبا إلى جنب كلما تقدّم به العمر.

لهذا فإنّ من أهم الاحتياجات التي يجب أن تتوفر للمسن في هذه المرحلة هي: الشعور بالإنتماء الأسري والمجتمعي، والشعور بالأمان النفسي والمادي، والكرامة، والبعد عن العزلة، والشعور بالاعتزاز، وكذلك الترويح والاستفادة من أوقات الفراغ الطويلة التي تداهمه في هذا العمر ...الخ.

لهذا فإنّ الرّعاية الاجتماعية تعتبر من الأمور الرئيسية، بل من الحقوق الواجب توافرها للمسن في هذه المرحلة، وهي مختلفة في أهميتها من " قِطر إلى آخر تبعا للأوضاع الاجتماعية السائدة، وتبعا للعادات والتقاليد المتوارثة لكل شعب من الشعوب" [1].

إنّ للأسرة دور كبير في الرّعاية الاجتماعية والعناية بالكبار، وهي المكان الرئيسي، والجماعة الأساسية التي يكون المسن مرتبطا ومنصهرا فيها، بل وقد يكون سببا في وجودها، ويظل مرتبطا بها " طالما استمرت حياته، فلا يقتصر انتماؤه لها وتفاعله بها على مرحلة معينة من حياته، بل يظل يتفاعل مؤثرا ومتأثرا في شتى مراحل حياته مع اختلاف في الدرجة "[2]، وهذه الصلة موجودة في أغلب الأسر العربية والإسلامية التي مازالت تحتفظ بهذه السّمة على اعتبار مكانة الشيوخ وفضلهم، وأنّهم مصدر الخير والبركة لهم، واعترافا للجميل.

رغم هذا فإنّ الكثير من الشيوخ – وخصوصا في المجتمع الحضري– يشكون من ابتعاد الأبناء عنهم واستقلالهم، وفقدانهم "الوفاء والطاعة التي كانوا يجدونها أيام كان أولئك الأبناء والبنات في حاجة إليهم، وقد بلغ أولئك الأولاد والبنات السن والمكانة الاجتماعية التي سمح لهم بالإعتماد على النفس، والاستغناء عن خدمات الأب والأم، ولقد صار الكبار هم المحتاجين إلى خدمة الصغار"[3]، وهذه العلاقة كوّنت نوعا من الفاصل بين الكبار والأبناء، مما تولد عنها انسلاخ المسن

---

[1] - عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، ص179.

[2] - المرجع نفسه، ص179.

[3] - أسعد، ميخائيل: رعاية الشيخوخة، ص44.

عن أبنائه ومجتمعه، الأمر الذي ينتج عنه عجز المسن عن تدبير شئونه بنفسه، وهو ما تولدت عنه "مشكلة اجتماعية يحتاج حلها اللجوء للمؤسسات الاجتماعية التي توفرها الدولة والجمعيات الخيرية التي ترعى المنازل، والمعاهد والمؤسسات التي تقوم على رعاية أولئك الشيوخ الذين فقدوا القدرة على رعاية شئونهم الذاتية، كما فقد ذووهم القدرة على تقديم العون والرعاية اللازمة لهم" [1].

وهذه الدُوُر أو المؤسسات الرعوية تعتبر أحيانا أمرا لا بدّ منه لمثل حالة هؤلاء الناس، والتي تحاول أن تعوّضهم ما فقدوه نتيجة تقاعدهم عن العمل وانشغال الأولاد عنهم، حيث توّفر الفرص التي تمكنهم من تحقيق ذواتهم من خلال العلاقات الاجتماعية المتجددة، ومحاولة ملء الفراغ الكبير الذي يعيشونه.

وعلى المجتمع أن يهيء للمسنين مشاركة طيبة في مجتمعهم، ويوفر لهم الجو المناسب ليقوموا بممارسة بعض الأعمال التطوعية التي تخدمهم وتخدم مجتمعهم، ليكونوا قدوة للآخرين ومثالا يحتذى بهم.

ويمكن للشيوخ الذين يتمتعون بخبرة وحكمة وتجارب طويلة في الحياة " تقديم المشورة المناسبة لحل كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة المتواجدين بها "[2]، كما يمكنهم المشاركة أيضا في التنظيمات السياسية وغيرها، ولا شك أنّهم سيجدون في هذه الأمور إشباعا للكثير من احتياجاتهم، بل وستكون سبيلا لحل الكثير من الأمور والمشاكل الاجتماعية التي يعانيها المسنون.

لذلك يجب تقديم الخدمات التي يحتاجها المسنون، والتي من أهمها ما يأتي:

1- توفير مساعدات اجتماعية خاصة للذين تتدنى دخولهم المادية.
2- إصدار التشريعات التي تنظم العمل وتحدد إجراءات التقاعد، مع مراعاة الفروق الفردية في هذا الشأن.
3- إنشاء دور لرعاية المسنين تلبّي احتياجاتهم الأساسية من مسكن وملبس ومأكل.
4- إنشاء نواد وأماكن ترفيه مؤقتة للمسنين.
5- الإهتمام بالجوانب التعليمية والتثقيفية، وإتاحة الفرص لهم للحصول على احتياجاتهم، وتنمية قدراتهم وخبراتهم العلمية والعملية، والاستفادة منها.

---

[1] - الكيلاني، يوسف: الشيخوخة والصحة، دار ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1983م، ص39.
[2] - عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، ص166.

6- تكثيف مشاركة المسنين في أمور المجتمع، وإعطائهم أدوارا وأعمالا تناسب قدراتهم.

المطلب الثالث: الرعاية الصحية

تصاحب مرحلة الشيخوخة تغيرات واضحة في صحّة الكثير من المسنين، الأمر الذي يتطلب تكثيف الرعاية الصحية، والقيام بالكشوفات الدورية على المسن "وتقييم الحالة الصحية واتخاذ الإجراءات الوقائية، وتأهيل المواطنين للتعامل مع ظروفه عندما يصل إلى سن التقاعد"[1].

إنّ مسألة صحة المسنين لم تحظ بالعناية اللازمة في مرحلة مبكرة كما هو مطلوب، فالمؤسف "أنّ المتّبع حاليا بالنّسبة للشيوخ هو إهمال الوقاية الصحية والانتظار حتى وقت وقوع البلاء والرزوح تحت وطاءة المرض، ثمّ اللجوء إلى الطب طلبا للنجدة والخلاص من ذلك الكابوس الذي يخضعهم لسلطانه"[2]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتضح أنّ سبب هذا الإهمال هو الإحساس بأنّ الشيخوخة نهاية المطاف من عمر الإنسان، وأنّها لا تستحق ما يدّخر لها من وقت وجهد ومال.

لقد تبيّن أنّ هذا التوجّه بدأ يتلاشى في الوقت الحاضر، حيث بات فيه الإعتناء بالشيوخ وصحتهم من الأمور الضرورية ومنطلقا من وازع ديني وإنساني، وبالتعاون ما بين الأسرة والمجتمع والدولة.

إنّ الكشف الطبي المبكر على المسن له دور كبير في مواجهة الكثير من الأمراض والمشكلات الصحية التي تداهمهم وقت كبرهم.

ثمّ إنّ الشيخوخة لا تعني بالضرورة الإصابة بالمرض أو العجز، وإنّما هي مرحلة من مراحل عمر الإنسان يصيبها ما يصيبها بسبب الإهمال، وعدم أخذ الحيطة والحذر منها.

---

[1] - شريف، يس: "رؤية المجالس القومية المتخصصة"، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، المجلس القومي للخدمات حول الرعاية المتكاملة للمسنين في مصر، المؤتمر الإقليمي الأول لرعياة المسنين ص23.

[2] - أسعد، يوسف ميخائيل: رعاية الشيوخ، ص173.

فإذا جئنا لمسألة التغذية عند المسنين مثلا فإنّنا نرى أنّ " جهل المسنين بالقيمة الغذائية للطعام تعد من أهم أسباب سوء التغذية في الكبر، ولذلك فإنّ عقد دورات تثقيفية عن شئون التغذية قبل سن التقاعد وكذلك بعده ممّا يساعد على تجنب عواقب سوء التغذية "[1].

ومن الأمور المهمّة التي يجب عدم تغافلها بالنّسبة للمسنين والتي لها دور كبير في تحسين ظروفهم الصحية، بل وتبعدهم في أحيان كثيرة عن الأمراض الجسمية والنفسية التي تصيبهم هي ضرورة مشاركتهم للآخرين والسماح لهم بالخروج من المنزل ومرافقتهم، وتعرّفهم على بيئتهم واختلاطهم بأقرانهم، فهذا الأمر ممّا يوسّع للشيوخ "من دائرة معارفهم، كما يرفع من معنوياتهم، ويجعلهم أكثر اهتماما بالعالم الذي يعيشون فيه، وبذلك يقيهم من مخاطر الكآبة التي يقع فريستها الإنطوائيون الذين يعيشون في بيوتهم في عزلة عن العالم الخارجي"[2].

هناك أمور كثيرة يمكننا الإرتكاز عليها في مجال الرعاية الصحية للمسنين أهمها ما يأتي:

1- الفحص الشامل الدوري على المسن بإستمرار، لاكتشاف التغيرات المستجدة عليه، والكشف عن الأمراض مبكرا.
2- إنّ العلاج الطبي المبكر للمرض وأعراضه المكتشفة تساعد كثيرا على شفاء المسن وعدم إصابته بالأمراض البدنية والنفسية الأخرى.
3- التأهيل الطبي الشامل باستعمال الأجهزة لتحسين أداء الأعضاء وزيادة الفاعليات اليومية، وكل ما من شأنه الارتقاء بالمسنين والحفاظ عليهم.
4- عمل الإجراءات الوقائية التي تمنع تدهور حالة المريض الصحية وتتمثل في:

أ- الفحص الشامل وبصفة دورية، والكشف المبكر على الأمراض وعوارضها.
ب- الوقاية من الأمراض المعدية، وتنمية الوعي الصحي بين المسنين وذويهم.
ج- تقييم الحالة الغذائية دوريا لمنع الإصابة بسوء التغذية.

---

[1] - الكيلاني، يوسف ميخائيل: الشيخوخة والصحة، ص37.
[2] - المرجع نفسه، ص38.

د- التوعية بكيفية استخدام الأدوية لتجنيبهم من آثارها الجانبية الضارة.
هـ-العمل على وقايتهم من الحوادث والاصابات والسقوط.
و- تشجيعهم على ممارسة بعض التمارين الرياضية لتنشيط الدورة الدموية في أجسامهم.
ز- دمجهم في المجتمع، والاستفادة من خبرتهم لرفع معنوياتهم.
ط- محاولة تخليصهم من التدخين وتناول الأدوية بدون وصفة طبية[1].

إنّ الأهداف الأساسية من الرعاية الصحية للمسنين هي أنّهم بشر، ومن حقهم العيش حياة طيبة سليمة.

المطلب الرابع: الرعاية المعيشيّة

يسير عالم اليوم بالإنسان نحو المادية، حيث ضَعف الإيمان والأخلاق، وبروز الأنانية، والنظر إلى الأشياء بنظرة مادية منفعية، مبنية على الأنانية والمنفعة الشخصية.

وفي هذا العالم المادي يتطلع كبار السن إلى الحصول على احتياجاتهم الأساسية، من مسكن ومأكل وملبس ومركب، وتلبية رغباتهم في المجتمع، بالحرية والكرامة، وعلى الدولة أن توفر هذه الحاجات، وتحقق هذه الرغبات.

وقد تقل نفقات المسن على متطلباته الشخصية "من لباس ومتطلبات ترفيهية ونفقات متنوعة الأهداف والأبعاد، حيث يكفيه أن يكون لباسه نظيفا مناسبا لسنّه، وغذاؤه سليما"[2] ولكن هذه النفقة تزداد لديه وبشكل ملحوظ لتأمين العلاج من الأمراض التي تعتريه، والدواء الذي يكون مهما جدا له، والذي يكون في الكثير من الأحيان قاصما لظهره بسبب السعر والطلب عليه.

إضافة إلى ذلك فإنّ هناك عبء إنفاقي جديد ينضاف إلى المسن المحال إلى التقاعد وهو عبء الإنفاق على متطلبات "العلاج والدواء، ففي الشباب لا يكاد الشخص العادي يتردد على الأطباء إلا لماما، ويكاد ينقطع عن الصيدلية، ولكن

[1] - عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، ص173. (بتصرف).
[2] - الأحمدي، رغداء: "حقوق المسنين الاجتماعية والاقتصادية والقانونية"، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ندوة رعاية المسنين، ص11.

ما أن تدب الشيخوخة في أوصاله حتى يجد أنّ تردّده على الطبيب صار شيئا ثابتا لا يتغير، أمّا الدواء فهو شيء لابدّ منه أو قل شيء متزايد"[1].

لذلك يجب أن نوفر لكبار السن حاجات ومساعدات تمكنهم العيش بأمان واستقرار، باعتماد الأسس الآتية:

1- بالنّسبة للسكن يمكن إعفاؤهم من إيجارات شققهم التي يقطنونها، أو تخفيفها عليهم بعد بلوغهم سنا معينة.
2- إعفاؤهم من الضرائب المستحقة عليهم، أو خفضها.
3- تخفيض سعر الوحدات الكمالية الأساسية لمن بلغ هذه السن، من الكهرباء والماء والهاتف وما هنالك.
4- " إعفاء أبناء وبنات الشيوخ الذين بلغوا الستين فما بعدها من كافة الرسوم المدرسية والجامعية، حتى يستطيعوا الاستمرار في التعليم بغير عنت أو تأزم.
5- إيجاد المؤسسات العامة التي يستطيع فيها المسنون أن يشبعوا حاجاتهم البدنية، ويتمتعوا فيها بملء ساعات الفراغ، ويواصلوا تعليمهم، ويحصلوا فيها على ضرورياتهم، ويتمتعوا فيها بكل ما يحتاجون إليه من خدمات اجتماعية ورعائية.
6- وضع قوانين وتشريعات تمنع المساس بحقوق المسنين والتعدي عليهم، ومعاقبة من يفعل ذلك.
7- توفير المساعدات العينية والخدمات المجانية لهم من قبل الآخرين وخصوصا المؤسسات العامة، والجمعيات الخيرية.
8- إنشاء جمعيات أصدقاء المسنين تعني بشئونهم، وسوف تكون بمثابة إعتراف من الدولة بأهمية هذه المرحلة، وبضرورة قيامها برعاية الواقعين في نطاقها وأن تتضمن هذه الجمعيات جميع أمور الرعاية الضرورية للمسنين اجتماعيا ونفسيا وصحيا واقتصاديا"[2].
9- توفير فرص عمل مناسبة للمسنين.
10- تنظيم المناشط الخاصة بهم على جميع المستويات.
11- تخصيص أجنحة خاصة بهم في المستشفيات، وإعفاءهم من تكاليف العلاج والبقاء في المستشفى.

---

[1] - أسعد، يوسف ميخائيل: رعاية الشيخوخة، ص23.
[2] - عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، ص175. (بتصرف).

12- إيجاد موارد مالية لهم بديلة عن النقص الذي أصاب راتبهم بسبب التقاعد‹1›.

[1] - أسعد، يوسف ميخائيل: رعاية الشيخوخة، ص263. (بتصرف).

الفصل الثاني

نظرة الأمم إلى المسن

المبحث الأول: نظرة بعض الأمم القديمة إلى المسن.

المطلب الأول: *المسنون عند المصريين.*

المطلب الثاني: *المسنون عند اليونان.*

المطلب الثالث: *المسنون عند العرب قبل الإسلام.*

المبحث الثاني: مرحلة الشيخوخة كما يراها الأدباء والشعراء.

المطلب الأول: *الشيخوخة كما يراها الأدباء.*

المطلب الثاني: *الشيخوخة كما يراها الشعراء.*

الفصل الثاني
نظرة الأمم القديمة إلى المسن

المبحث الأول: نظرة بعض الأمم القديمة إلى المسن

تبوّأ كبار السن منزلة كبيرة – على مدى التاريخ الطويل للبشرية – بين الشعوب، حيث كانت النظرة أنّه إنسان عاصر الحياة واكتسب منها حكم ومعارف، وأنّه مصدر خير وبركة ورحمة للمجتمع، وخصوصا إذا ما كان قضى حياة لا شائبة فيها، واتسمت بالعطاء والتضحية.

وهذا ما سنراه من خلال إعطاء لمحة مختصرة لمنزلة كبير السن عند الشعوب القديمة من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: المسنون عند المصريين

تميزت الحضارة المصرية القديمة عن غيرها من الحضارات بوفرة معروضها التاريخي، والذي يمكن من خلالها معرفة دقائق الحياة الاجتماعية وغير الاجتماعية التي كانت سائدة عندهم آنذاك. والذي يهمنا في هذه الدراسة هو معرفة مدى تقديرهم لفئة كبار السن والمتمثلة في الوالدين والشيوخ، ومنزلتهم عندهم.

إنّ الظروف البيئية الطبيعية المستقرة التي عاشها أهل مصر قديما كفّلت لهم استقرارا في حياتهم المعيشية أكثر من غيرهم من الشعوب، وظهرت بسببها الروابط الأسرية القوية بين أبناء مصر، ومنها احترام كبار السن وتوقيرهم ورعاية الوالدين والوصية بهم، كما تدل عليها كتابات كهنة قدماء المصريين وغيرها من الآثار التي اكتشفت، والتي تدل بوضوح سواء كانت آثارا كتابية أوصورا أو تماثيل ومنحوتات.

فكبير السن مثلا بين أسرته له الصدارة، "إذ يوضع له مقعد الشرف في المجلس، يقوم له الحاضرون إذا أقبل، ويؤدون له فروض الاعتبار والتبجيل،

ويضبط الشباب الثائر شعوره في حضرته، ويتلقى بلهف ما يجري على لسانه من القصص، وينشرح لأحاديثه" ‹1›.

وقد أشادت القصص المصرية القديمة بتلك الرعاية المقدمة، حتى أعجب بها واستحسنها المؤرخ هيرودوت‹2›، فنقل لنا جانبا من سلوك الشباب تجاه المسنين فقال: "حين يلقى الشباب المسنين يتنحون جانبا، ويفسحون لهم الطريق، وحين يقترب منهم الكهول يقومون عن مقاعدهم" ‹3›.

وتنقل لنا بعض الآثار المكتوبة أنّ بر الوالدين كان من أهم الفضائل البارزة عندهم، فقد نقل عن الحكيم آني موعظته لابنه في أن يقوم بخدمة أبويه " قرّب الماء لأبيك وأمّك اللذين انتقلا إلى قبريهما في الصحراء، وإيّاك أن تغفل هذا الواجب، وليفعل لك إبنك مثل ذلك"‹4›.

وأمّا بالنّسبة لحق الأم فتنقل لنا الآثار أهمية الأم وحقها الكبير في حياة المصريين القدماء، بل وأيضا تحذر من عدم طاعتها ونبذها، فقد ورد في بردية بولاق: " ينبغي لك ألا تنسى أمك، فقد حملتك طويلا في حنايا صدرها، وكنت فيها حملا ثقيلا، وبعد أن أتممت شهورك ولدتك، ثم حملتك على كتفها ثلاث سنين طوالا، وأرضعتك ثديها في فمك، وغذتك ولم تشمئز من قذارتك، ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقف في كل يوم إلى جانب معلمك ومعها الخبز والجعة جاءت بهما من البيت" ‹5›.

ومن وصايا خيتي بن دواوف: " أحبب الكتب كحبّ أمّك، فليس في الحياة ما هو أغلى منها" .

وهكذا تبين لنا جانب من جوانب الحياة الاجتماعية عند المصريين القدماء، والمتمثل في رعاية كبار السن والوالدين.

---

[1] - أبو حديد، محمد فريد: "الشرق الإسلامي غدا"، مجلة الثقافة، العدد 290، الثلاثاء 27 رجب 1363هـ/ 18 يوليه 1944م، السنة 6، ص 685.

[2] - مؤرخ ورحالة يوناني له كتاب "تاريخ" وهو أهم المراجع لمعرفة الأمم القديمة وأساطيرها.

[3] - فياض، محمد وزميله: الأمومة والطفولة في مصر القديمة، دار البستاني، القاهرة، د.ط، 2001م، ص 174.

[4] - المرجع السابق، ص173.

[5] - ديورانت، ول: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، د.د، القاهرة، ط5، د.ت، ج2، ص97.

المطلب الثاني: المسنون عند اليونان

تأثر اليونانيون بالحضارة المصرية، وأخذوا عنها الكثير من القيم والعادات، ومن ذلك رعاية كبار السن وحبهم وتقديرهم، فضلا عن أنّ السن قد أعطى المسنين منزلة كبيرة وجعلهم بمثابة حكماء عصرهم يلجأ إليهم الناس والزعماء لاستجلاء آرائهم، ممّا جعلهم مصدر احترام بين الأجيال اللاحقة.

وهذا لا يعني أنّ اليوناني كان يحب الشيخوخة والتقدم في السن مع وجود العلل والأسقام التي تزري به بين الناس، وقد نقل لنا مؤلف موسوعة " قصة الحضارة " طبيعة المجتمع اليوناني التي سببت خلالها نوعا من الإساءة والإهمال للمسنين، فقال: " لسنا ننكر أنّ في تاريخ اليونان أمثلة من إهمال الشباب للشيوخ أو إساءة معاملتهم، إهمالا وإساءة مبعثها الأثرة الممقوتة، وسبب ذلك أنّ المجتمع الأثيني مجتمع تجاري فردي النزعة، مجدد غير محافظ، وكل هذه عوامل تجعله ينزع إلى عدم الشفقة على الشيوخ ... لهذا نجد في تاريخ الأثينيين أمثلة عدة لأبناء يستولون على ملك آبائهم في حياتهم، وإن لم يثبت العته على هؤلاء الآباء ... غير أنّ الشرائع الأثينية تأمر الأبناء أن يعولوا آباءهم العجزة أو الطاعنين في السن" ‹1›.

وقد نتج أيضا من اهتمام اليونانيين بالكبر والشيخوخة أن اهتموا بطب الشيخوخة، وبرعوا فيه كثيرا، فهذا أبوقراط والذي " تعتبر آراؤه في الاعتدال في الغذاء والاهتمام بالتدريبات البدنية بغرض التعمير من أفضل الآراء في وقتنا هذا، كما قام بوصف عدد من الأمراض المصاحبة للشيخوخة ونواحي القصور الناتجة عن التقدم في العمر"‹2›، وله أيضا اسهامات كثيرة في كيفية الحفاظ على الصحة الجسمية في مراحل العمر الأخيرة، حيث " أوصى بالاعتدال في الغذاء والقيام بالتمرينات الرياضية من أجل إطالة العمر، كما وصف عددا من الأمراض الخاصة بالعين وفقدان السمع وتصلب الشرايين والأرق" ‹3›.

كما أنّ الفيلسوف اليوناني المشهور أفلاطون قد توصل إلى " إحدى الحقائق التي لا تختلف كثيرا عما توصل إليه علماء الشيخوخة في عصرنا الحديث، إذ يرى أنّ الإنسان الذي حقق مستوى عاليا من التكيف في الحياة يمكنه مواجهة

[1] - ديورانت، ول: قصة الحضارة،ج7، م.س، ص128.
[2] - إسماعيل، عزت سيد: "الشيخوخة في عصرنا الراهن"، م.س، ص51.
[3] - الأورفلي، أحمد: الشيخوخة، دار الشرق الأوسط، د.ط، د.ت، ص11.

مشكلات الشيخوخة بشكل أفضل من ذلك الذي لم يستطع تحقيق هذا المستوى من التكيف" ‹1›.

ويعدّ " أوّل من اهتم بالخواص السيكولوجية للكبار، والأعمال المناسبة لهم، وقد ترجمت رسالته عن الكبار إلى الإنجليزية عام 1954م ‹2›.

المطلب الثالث: المسنون عند العرب قبل الإسلام

لم نجد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام مظاهر حضارية متكاملة البنيان إلا ما كانت في جنوبها حيث حضارة مأرب في اليمن. وقد كانت تغلب على قبائل شبه الجزيرة صفة البداوة، والتي كانت تتسم حياتهم بالبؤس وضنك العيش في الصحاري الواسعة التي كانوا يعيشون ويتنقلون فيها.

وبالرغم من حياتهم تلك نجد أنّها برزت فيهم صفات راقية لم تتواجد حتى في أرقى الحضارات الموجودة في وقتنا الحاضر، ومنها الكرم والشجاعة والنجدة والضيافة والوفادة وغير ذلك كما ينقل لنا التراث الشعري والنثري، والذي يعنينا معرفته هنا هو مكانة المسن أو الشيخ في الأسرة والقبيلة عندهم.

لقد حافظت الأسرة والقبيلة العربية على مكانة كبار السن، وكانوا يعتبرونهم أهل رأي وحكمة في مجتمعهم، يُرجع إليهم للفصل في القوم والحكم عند اختلاف القوم، لتمتعهم بالخبرة والتجربة في الحياة.

يقول مؤلف كتاب " المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام " حينما تحدث عن السن ومنزلة كبار السن عند العرب قبل الإسلام:" وللسن أهمية كبيرة عند العرب، لأنّ الإنسان إذا ما تقدم في السن إزدادت حكمته وتجاربه في الحياة ورجح عقله، ويعرف عنهم بذوي المكانة في الناس بالطبع، ولهذا نجد أنّ القبائل تتمسك بأخذ الرأي والمشورة من ساداتها المسنين ومن حكمائها المعمّرين، لأنّهم عركوا الحياة وخبروها، وعرفوا ما فيها من مرّ وحلو، لذلك جعلوهم في الطبقات العليا من الناس" ‹3›. ومن هؤلاء على سبيل المثال: هرم بن سنان الذي كان من

---

[1] - إسماعيل، عزت سيد، "الشيخوخة في عصرنا الراهن"، م.س، ص51.

[2] - دعبس، محمد يسري إبراهيم: التكوين النفسي للمسنين في الثقافات المختلفة، دار المطبوعات الجديدة، اسكندرية، د.ط، 1991م، ص11.

[3] - علي، جواد: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1980م، ص561.

سادات الجاهلية وحكماءهم، وقد مدحه زهير بن أبي سلمى حينما سعى للصلح بين قبيلتي عبس وذبيان.
ولذلك نجد أنّ الحكم والشورى ومجلس كبار الأعيان لا يكون إلا بهم، وهم مطاعون فيما يذهبون إليه من آراء، وتعتبر مخالفتهم خروجا على الصواب وتحقيرا للشرف والسن والعقل.

المبحث الثاني: الشيخوخة كما يراها الأدباء والشعراء

تحدّث الأدباء والشعراء كثيرا عن مرحلة الشيخوخة شعرا ونثرا، رسموا من خلال حديثهم عنها صورا نمطيّة معتمدة على تصوير الحركات والسكنات والانفعالات التي تصاحب هذه المرحلة عند الإنسان، وهذا ما سوف نراه خلال المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: الشيخوخة كما يراها الأدباء

تحدث الأدباء عن مرحلة الشيخوخة وبينهوها ووصفوها بمذاق خاص من خلال تعابيرهم المختلفة، فهذا الأديب العربي مصطفى لطفي المنفلوطي[1] في كتابه " النظرات"، قد قال تحت عنوان " الشعرة البيضاء": "مرّرت صباح اليوم أمام المرآة فلمحتُ في رأسي شعرة بيضاء تلمع في تلك اللحمة السوداء، لمعان شرارة البرق في الليلة الظلماء.
رأيت الشعرة البيضاء في فودي فارتعتُ لمرآها كأنّما خيّل إليّ أنّها سيف جرّده القضاء على رأسي ... أيّتها الشعرة البيضاء: ما رأيت بياضا أشبه بالسواد من بياضك، ولا نورا أقرب إلى الظلمة من نورك ... لقد عييت بأمرك، وبعلت بحملك، وأصبحت لا أعرف وجه الحيلة في البعد عنك ... لا ينفعني معك أن أنزعك من مكانك لأنك لا تلبثين أن تعودي إليه ... أليس كل ما أعده عليك من الذنوب أنّك طليعة الموت، والموتُ هو الذي يخلصني من منظر هذا العالم المملوء بالشرور والآثام ... أيّتها الشعرة البيضاء: مرحبا

[1] - أديب من أدباء مصر الخالدين من أشهر مؤلفاته " النظرات" و"العبرات" توفي سنة 1924م.

بـك اليوم، ومرحبا باخوتك غـدا، ومرحبا بهـذا القضاء الواقف وراءك أو الكامن في أجوائك "[1].

لم يكن المنفلوطي وحده الذي اهتم بهذه المرحلة، بل هناك الكثير من الأدباء تحدّثوا كثيرا وبإسهاب عن الشيخوخة وظروفها المختلفة، ولم يخف أحد من هؤلاء حالته ذاتيا ووجدانيا، غير أن الفرق تباين وتناقض، " فهناك من عبّر عن سذاجة وضعف فكر وبين أنّه إفراز من إفرازات الشيخوخة، وهناك كذلك من عبّر عن النضج وعصارة تجارب الحياة المليئة بالإجتهاد والإبداع والعطاء النافع والبذل العلمي[2].

قال أبو عبيد[3]: قيل لشيخ: ما بقي منك ؟ قال: " يسبقني منْ بين يدي، ويدركني من خلفي، وأنسى الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملا، وأسهر في الخلا، وإذا قمت قربت الأرض مني، وإذا قعدت تباعدت مني" [4].

وقد رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته، فقال: أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوّته، أعوذ بك يا رب من فجاءات الأمور، يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبتي، ولزم بيته [5].

المطلب الثاني: الشيخوخة كما يراها الشعراء

تباينت مواقف الشعراء بالنّسبة لمرحلة الشيخوخة في الغالب، وإن كان يغلب على أغلبهم موقف عدم تقبّل الوضع الجديد الذي يمرّ به الإنسان في هذه المرحلة، " ويظهر ذلك من استقراء التجارب الشعرية للمسنّين في الإدب العربي القديم، فهي تؤكد هذه الحقيقة، والدليل على هذا الحُزن الشديد الذي

---

[1] - المنفلوطي، مصطفى لطفي: النظرات، ج1، تقديم: جبرائيل سليمان جبّور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1402هـ/ 1982م، ص171-176.

[2] - البوزيدي، علال: "مكانة الشيخوخة في ضوء الفكر الإسلامي"، منار الإسلام، العدد6، جمادي الآخرة 1410هـ/1990م، ص91.

[3] - معمّر بن المثنى، عالم باللغة والشعر من أهل البصرة، جمع الكثير من أخبار العرب وأنسابهم، من كتبه "مجاز القرآن، و"نقائض جرير وفرزدق".

[4] - ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: كتاب عيون الأخبار، ج2، تحقيق: محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1423هـ/2002م، ص695.

[5] - المصدر السابق، ج2، م.س، ص699.

يصاحب حديث الشيخ عن نفسه وشكواه الدائمة من الآلام والمتاعب الجسدية والعقلية والنّفسية التي يلاقيها في شيخوخته، وتهكمه على نفسه، فالحياة في التجربة الشعرية للمسنّين سلسلة من آلام الظهر وضعف البصر والسمع، وعدم الرغبة في ملذات الدنيا، والخوف من الموت وغير ذلك، فالدنيا في هذه التجارب ليست للمعاش والحياة بل للآلام والمتاعب واليأس "[1].

قال عبدالملك بن مروان[2] للعريان بن الهيثم: كيف تجدك ؟ قال: أجدني قد ابيضّ منّي ماكنت أحبّ أن يسودّ، واسودّ منّي ماكنت أحبّ أن يبيضّ، واشتد منّي ما أحبّ أن يلين، ولان منّي ما أحبّ أن يشتدّ، وقال :

سلني أنبئك بآيات الكبر نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر وقلة الطعم إذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميج النظر وتركك الحسناء في قبل الطهر
والناس يبلون كما يبلى الشجر [3].

ويأتي الحُطيْئة[4] بعلامات للشيخوخة، من عدم المشاركة في الحرب بنفسه، وعدم الطاعة، وثقل الحركة، فيقول:

يصب إلى الحياة ويشتهيها وفي طول الحياة له عناءُ
فمنها أن يقاد به بعير ذلول حين يهترش الضراء
ومنها أن ينوء على يديه ويظهر في تراقيه انحناء
ويأخذه الهداج إذا هداه وليد الحيّ في يده الرواء
وينظر حوله فيرى بنيه حواء من ورائهم حواء
ويحلف حلفه لبني بنيه لأمسوا معطشين وهم رواء
ويأمر بالجمال فلا تعشى إذا أمسى وإن قرب العشاء

---

[1] - الكردي، عبدالرحيم: "تجربة الشيخوخة في الشعر العربي القديم"، المؤتمر الإقليمي الأول لرعاية المسنين، 3-5 أبريل 2000م، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، جامعة حلوان، ص73.

[2] - خامس الخلفاء الأمويين، ولد بالمدينة وتوفي بدمشق، وحّد الدولة الأموية وأنشأ البريد وعرّب الدواويين وصكّ النقود الذهبية، توفي عام 86هـ.

[3] - ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: كتاب عيون الأخبار، ج2، م.س، ص695.

[4] - شاعر مخضرم من بني عبس، أدرك الجاهلية والإسلام، امتاز شعره بالهجاء والتهكم.

من خلال الأبيات نرى أنّ " هذه المظاهر التي سجّل الحطيئة بعضها مظاهر جسدية، لكن أكثرها يتعلق بجوانب نفسية تنشأ من الوضع الاجتماعي للشيخ، بعد أن انتهى عهده، وتبوأ الرئاسة والسيطرة الجيل التالي من الأبناء والأحفاد، ويتمثل ذلك في فقدان الحرّية، وعدم القدرة على الفعل أو التأثير في الآخرين، فالتكريم الذي يلاقيه الشيخ من أبنائه وأحفاده إنّما هو مظهر لفقدان الحياة في جوهرها" [1]، وهذ صورة من الصور التي يعكسها الشاعر لنظرته نحو الحياة، يبين فيها تأثير الشيخوخة على مظهر انسحاب الشيخ من الحياة وملذاتها المختلفة.

أمثلة شعرية حول الشيخوخة

1- حميد بن ثور الهلالي

أعين العصا بالرجل والرجل بالعصا فما عدلت مثلي عصاي ولا رجلي

2- المساور بن زهير

وأرى الغواني بعدما واجهنني أعرضن ثمّت قلن شيخ أعور
ورأين رأسي صار وجها كله إلا قفاي ولحية ما تضفر
ورأين شيخا قد تحنّى صلبه يمشي فيقعس أو يكبّ فيعثر

3- الأخطل[2]

إنّ الغواني إن رأينك طاويا يرد الشباب طوين عنك وصالا
وإذا أوعدنك نائلا أخلفنه ووجدت عند عداتهن نكالا
وإذا دعونك عمّهن فإنه نسب يزيدك عندهنّ خبالا

4- قال جرير[3]

وقالت فيم أنت من التصابي متى عهد التشوق والدلال
فما ترجو وليس هوى الغواني لأصحاب التنحنح والسعال
دعيني إن شيبي قد نهاني وتجريبي وشيبي واكتهال

---

[1] - الكردي، عبدالرحيم: " تجربة الشيخوخة في الشعر العربي القديم"، م.س، ص72.

[2] - غياث بن غوث التغلبي، من شعراء دولة بني أمية نصراني الديانة، ناقض جرير وفرزدق، مات سنة170هـ.

[3] - جرير بن عطية التميمي، من الشعراء المبدعين، عاصر العهد الأموي، ناقض أغلب شعراء عصر وبقي في الميدان حتى غلبهم جميعا هجاء، توفي سنة 114هـ.

رأت مـرّ السنين أخذن منّي كما أخذ السرار من الهلال [1].

5- أبو دلف[2]

في كل يوم من الأيام نابتة كأنّما نبتت فيه على بصري
لئن قرضتك بالمقراض على بصري لما قرضتك عن همي ولا فكري

هذه صور موجزة وأمثلة شاهدة لحديث الشعراء عن الشيب والشيخوخة، تظهر لنا بكل جوانبها النفسية والجسدية والاجتماعية بكل ما تحملها من مشاعر، وهي تعتبر عندهم نوعا من أنواع البوح والتفريغ بما في نفوسهم من ألم وحسرة وشكوى على ماضيهم وحالهم التي آلت إليها بعد الشيخوخة.

الفصل الثالث

رعاية المسنين في الإسلام

المبحث الأول:الأحكام الشرعية في حقوق الوالدين والوصية بهما.

المطلب الأول: *بر الوالدين والإحسان إليهما.*
المطلب الثاني: *بر الوالدين مقدّم على حب الأهل وصلاة التطوع.*
المطلب الثالث: *رعاية الوالدين كالجهاد في سبيل الله.*
المطلب الرابع: *مصاحبة الوالدين الكافرين.*
المطلب الخامس: *صلة الوالدين بعد موتهما.*
المطلب السادس: *العقوق.*

---

[1] - عيد، يوسف: ديوان جرير، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م، ص529.
[2] - القاسم بن عيسى، أمير وأديب وشاعر، من رجال الدولة العباسية، من كتبه " سياسة الملوك"، توفي عام 226هـ.

المبحث الثاني: تكريم الإسلام للمسنين.

المطلب الأول: *تكريم ذي الشيبة وتوقيره.*

المطلب الثاني: *رعاية الكبار في الحروب.*

المطلب الثالث: *طول العمر مع العمل الصالح أمر محبب في الإسلام.*

المبحث الثالث: التخفيفات الشرعية الواردة في حق المسنين.

المطلب الأول: *صلاة كبير السن.*

المطلب الثاني: *صوم كبير السن.*

المطلب الثالث: *حج كبير السن.*

المطلب الرابع: *جهاد كبير السن.*

المطلب الخامس: *لباس المرأة الكبيرة.*

الفصل الثالث
رعاية المسنين في الإسلام

تعتبر البيئة الأسرية المتراحمة المكان الأمثل لحياة المؤمن، خصوصا عندما يشيخ ويكبر، ويجد نفسه محاطا بأهله وأولاده وأحفاده الذين ربّاهم تربية صالحة، وأنشأهم نشأة سليمة.

إنّ هذا الجو في الأسرة يعتبر من أجمل وأجزل نعم الله تعالى على الإنسان، إذ تظهر عليه نتيجة تربيته لأبنائه في وقت أحوج ما يكون محتاجا إليهم.

وهذا ما سعى الإسلام إلى إيجاده من خلال توجيهات آياته الكريمة، وسنة نبيه ρ لرعاية الوالدين وصلتهم ورعاية كبار السن والاهتمام بهم، وتوفير العناية لهم وتكريمهم، تكريما لم نجد له مثيلا في الأمم السابقة ولا اللاحقة.

يؤكد الدكتور إبراهيم العسل على رعاية الإسلام وعنايته بالمسنين فيقول: "ماكان الإسلام بعيدا عن هذه الفئة من الناس، بل سبق العالم نحو وضع تشريعات تكفل الرعاية للمعوقين والشيوخ والمسنين، حتى باتت جزءا من عقيدة المؤمن، ومنهجا يؤدّيه برحابة صدر واطمئنان قلب"[1].

ولم يكتف الإسلام بهذا بل طبّق منهجا عمليا في دعوته الموسومة بالشمولية، إذ خفف أحكاما كثيرة عن الشيوخ المسنين، وأسقط عنهم بعضها، وهذا ما سوف نراه من خلال هذا الفصل.

المبحث الأول: الأحكام الشرعية في حقوق الوالدين والوصية بهما

بالرغم من أنّ رعاية الوالدين وبرهما واحترامهما من الأمور التي تكفي العاطفة الإنسانية معرفتها والتسليم لها، إلا أنّنا نجد أنّ الإسلام لم يغفلها أبدا، لذلك نراه يؤكد ويفصل فيها لدرجة أنّنا لا نلمس هذا التاكيد والتفصيل إلا في قضايا نادرة ومهمة أخرى.

وقد تأكدت هذه الرعاية حيث ذكرت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في أكثر من موقف، وأكثر من مناسبة، فأحببنا أن نتطرق إلى بعض منها خلال المطالب الآتية:

---

[1] - العسل، إبراهيم حسين: " الإسلام ورعاية المسنين"، م.س، ص8.

المطلب الأول: بر الوالدين والإحسان إليهما

عن ابن عمر[1] ψ قال: قال رسول الله ρ: (.. بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ..)[2].

إنّ بر الوالدين حق من الحقوق الواجبة على الأبناء القيام به، وليس من النوافل يؤدونها متى شاؤوا وكيف أرادوا، وهذا الحق قد استمد قوته "بدليل شرعي من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ρ، واحتل هذا الحق الأولوية في المرتبة والشرف – في هذا الدين – ما لم ينله حق آخر بعد توحيد الله عز وجل، فجاء مكرّما معزّزا، بعد حق الله ورسوله ρ، وبغض النظرعن نوعية الآباء "[3] ودينهم وتقواهم وصلاحهم، يقول الله تبارك وتعالى: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**)[4].

ولأهمية البر والإحسان فقد ربطه الله سبحانه وتعالى بأهم أصل من الأصول الإسلامية وهو توحيده، قال تعالى: (**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى** ...)[5].

فبر الوالدين هو الإحسان والتلطف والرفق بهما، والرعاية التامة لأحوالهما، والقيام بواجب العناية بهما، وإشعارهما بذاتهما، وأنّهما محل الرعاية والتكريم، بل وكذلك إشعارهما بحاجتنا إليهما وإلى حكمتهما وعطفهما، وأنّنا مفتقرون إلى توجيههما، وأنّهما سبب لوجودنا ووجود هذه الأسرة، كل هذا من البر والإحسان إليهما، ضمن المعاملة القولية والفعلية.

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا أروع الأمثلة في معاني البر، من خلال قصص أنبيائه، وخيرة خلقه – صلى الله عليهم أجمعين - فقال تعالى واصفا نبيه يحيى ρ: (**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا،**

---

[1] - عبدالله بن عمر بن الخطاب، صحابي من كبار رواه الحديث، هاجر إلى المدينة، اشترك في غزو أفريقة، توفي عام 73هـ

[2] - المنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي: الترغيب والترهيب، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م، حديث رقم 3663، ص 476.

[3] - المطوع، نسيبة عبدالعزيز العلي: سلسلة رؤية لمنهج تربوي اجتماعي ثقافي إسلامي، ج2، الكويت، بيت التمويل الكويتي، د.ط، 1415هـ/1997م، ص57.

[4] - سورة الإسراء، آية: 23.

[5] - سورة النساء، آية: 36.

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا، وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) [1]، وقال واصفا نبيه عيسى ρ: **(... وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)** [2].

إنّ بر الوالدين من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، فعن عبدالله بن مسعود[3] τ قال: سألت النبي ρ أي العمل أحبّ إلى الله عزّ وجلّ ؟ قال: (الصلاة على وقتها). قال: ثمّ أي ؟ قال: (ثم برّ الوالدين). قال: ثمّ أي ؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) [4].

وبرّ الوالدة مقدم على برّ الأب، فعن أبي هريرة قال: قالوا يا رسول الله: من أبرّ ؟ قال: (أمّك)، قال: ثمّ من ؟ قال: (أمّك)، قال: ثمّ من؟ قال: (أباك)، قال: ثمّ من ؟ قال: (الأدنى فالأدنى)[5]، وعنه τ قال: جاء رجل إلى رسول الله ρ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال: (أمّك). قال: ثمّ من ؟ قال: (ثمّ أمّك). قال: ثمّ من ؟ قال: (ثمّ أمّك). قال: ثمّ من ؟ قال: (ثمّ أبوك)[6].

والذي يدل عليه هذان الحديثان هو أنّ الأبوين كلاهما لهما الحق في الرعاية والعنايـة والبرّ والإحسان والمصاحبة الحسنة، كما قال تعالى: **(وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...)** [7]، ولكن "حق الأم فوق حق الأب بدرجات، إذ لم يذكر حقه إلا بعد أن أكد حق الأم تمام التأكيد بذكره ثلاث مرات، وإنّما علت منزلتها مع أنّهما شريكان

---

[1] - سورة مريم، آيات: 12-15.

[2] - سورة مريم، آيات: 32-34.

[3] - من أوائل المسلمين، هاجر إلى الحبشة ثم المدينة، شهد الغزوات كلها، وهو من الحدثين المفسرين والفقهاء، توفي عام 653م.

[4] - البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، موسوعـة الحديث الشريف الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط3، 1421هـ/2000م، كتاب الأدب، باب البر والصلة، حديث رقم 5970، ص506.

[5] - ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب الأدب، باب بر الوالدين، حديث رقم 3658، ص2696. **الترمذي**: **جامع الترمذي**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في بر الوالدين، حديث رقم 1897، ص1843.

[6] - البخاري: **صحيح البخاري**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، باب البر والصلة، حديث رقم 5970، ص506. النيسابوري: **صحيح مسلم**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب البر والصلة والأدب، باب بر الوالدين، حديث رقم 6500، ص1124.

[7] - سورة لقمان، آية: 15.

في تربية الولد، هذا بماله ورعايته، وهذه بخدمته في طعامه وشرابه ولباسه وفراشه الخ، لأنّ الأم عانت في سبيله ما لم يعانه الأب"[1] بحمله تسعة أشهر، ورضاعته سنتين، وسهرها على راحته، قال تعالى: **(وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...)** [2].

يقول الشاعر:

وعليك بـر الوالديـن فضيلة وارع بذي الأرحام نعمة فضله
يا طالما عطفوا عليك برأفة وربوك في حجـر الدلال وظله
فاشكر محاسن والديك وعزّهم واخفض لهم عزّ الجناح بذله[3]

ومن البر والإحسان الإنفاق عليهما من الطعام والشراب وتوفير المسكن لهما والملبس، وتجنيبهما أنواع الأذى المختلفة.

قال الله تعالى: **(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ..)** [4]، وعن عمرو بن شعيب[5] عن أبيه عن جده أنّ رجلا أتى النبي ρ فقال: يارسول الله إنّ لي مالا وولدا، وإنّ والدي يريد أن يجتاح مالي، قال: (أنت ومالك لأبيك، إنّ أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم)[6]، وهذا الحديث جاء تعبيرا في " بيان حقهما في مال أبنائهما، فهما كما أكرما إبنهما في صغره، ووقت ضعفه وأنفقا عليه، ولو تركاه لضاع وهلك، فهو الآن وهما في وقت

---

1 - الخولي، محمد عبدالعزيز: الأدب النبوي، دار كرم، دمشق، ط4، 1375هـ/1955م، ص111.
2 - سورة الأحقاف، آية: 15.
3 - بدران، عبدالله وزميله: الأخلاق الإسلامية للناشئة، ج1، دار المحبة، دمشق، ط1، 1414هـ/1992م، ص146.
4 - سورة البقرة، آية: 215.
5 - من رواه الحديث، سمع من أبيه محمد وجده عبدالله بن عمرو بن العاصر، توفي سنة 118هـ.
6 - أبوداود: **سنن ابي داود**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب البيوع، باب الرجل يأكل من مال ولده، حديث رقم 3530، ص1485. النسائي: **سنن النسائي**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب البيوع، باب الحث على الكسب، حديث رقم 4454، ص2377.

حاجتهما وضعفهما لزمه أن يكرمهما، ويحافظ على ماء وجهيهما حتى لا يتعرضا لذل السؤال فيعيشا على ما يتصدق عليهما الآخرون"[1].

ويترتب على بر الوالدين والإحسان إليهما آثارا كثيرة كلها في صالح الإبن البار، منها:

1- <u>بر الوالدين أحبّ الأعمال إلى الله تعالى</u>:

روى ابن مسعود τ قال: سألت النبي ρ أيّ العمل أحبّ إلى الله عزوجل ؟ قال:(الصلاة على وقتها)، قال: ثم أي ؟ قال: (ثم برّ الوالدين)، قال: ثم أي؟ قال:(الجهاد في سبيل الله)[2]. وعن عبدالله بن عمرو[3] عن النبي ρ قال: (رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد)[4].

2- <u>البر سبب لدخول الجنة</u>:

عن معاوية بن جاهمة τ أنّ جاهمة جاء إلى النبي ρ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال: (هل لك أم ؟) قال: نعم، قال: (فالزمها فإن الجنة عند رجلها)[5].

وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: (رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه)، قيل من يا رسول الله ؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة)[6]، وعن عائشة ψ قالت: قال رسول الله ρ: (نمت فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت من هذا ؟) قالوا: هذا

---

[1] - حافظ، عماد زهير: منهج القرآن الكريم في رعاية ضعفاء المجتمع، مطابع شركة المدينة المنورة، جدة، ط1، 1413هـ/1992م، ص215.

[2] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأدب، باب البر والصلة، حديث رقم 5970، ص 506.

[3] - أحد الصحابة المكثرين من رواية الحديث عن النبي ρ وقد أذن له النبي في كتابة الحديث، توفي سنة63هـ.

[4] - الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في فضل رضا الوالدين، حديث رقم 1899، ص1843.

[5] - الشيباني: المسند، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، 1419هـ/1992م، حديث رقم 15623، ص1089.

[6] - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب البر والصلة والأدب، باب رغم من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، حديث رقم 6511، ص1125.

حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ρ: (كذلك البر، كذلك البر). وكان أبرّ الناس بأمّه[1].

3- بر الوالدين سبب في زيادة العمر وسعة الرزق:

عن أنس بن مالك أنّ النبي ρ قال: (من سرّه أن يعظم الله رزقه، وأن يمد في أجله، فليصل رحمه)[2]، وفي رواية له: (من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه، وليصل رحمه)[3].

وعن سلمان[4] τ قال: قال رسول الله ρ: (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر)[5].

4- بر الوالدين سبب لتفريج الهم والكرب:

عن عبدالله بن عمرτ عن رسول الله ρ قال: (بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم. فقال بعضهم لبعض: أنظروا أعمالا عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللهم إنّه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وأنّه نأى بي الشجر، فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرّج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء ...)[6].

5- البر سبب لتكفير الذنوب:

---

[1] - الشيباني: المسند، حديث رقم 25697، ص1880.

[2] - المصدر نفسه، حديث رقم 12616، ص888.

[3] - المنذري: الترغيب والترهيب، حديث رقم 3659، ص476.

[4] - سلمان الفارسي، صحابي أسلم مبكرا، أشار على النبي ρ بحفر الخندق، كان من فضلاء الصحابة ومن زهادهم، توفي سنة 36هـ.

[5]- الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب القدر، باب ما يرد القدر إلا الدعاء، حديث رقم 2139، ص1866.

[6] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، باب إجابة دعاء من بر والديه، حديث رقم 5974، ص506. ومعنى يتضاغون عند قدمي: أي يصيحون.

عن ابن عمر τ أنّ رجلا أتى النبي ρ فقال يا رسول الله: إنّي أصبت ذنبا عظيما، فهل لي توبة ؟ فقال: (هل لك من أم ؟) قال: لا، قال: (هل لك من خالة ؟) قال: نعم، قال: (فبرها) ‹1›.

المطلب الثاني: بر الوالدين مقدّم على حبّ الأهل وصلاة التطوع

إنّ برّ الوالدين من أجلّ الفروض التي كلفنا الله سبحانه وتعالى بها، وهي من الفروض العينية التي لا يوازيها في المرتبة إلا فرض مثله أو بمنزلته من القوة مثل الصلاة والصيام والزكاة، ولأهمية هذا الفرض نجد أنّه قدّم على حب الأولاد والزوجة والأصدقاء وغيرهم، وحتى قدّم أيضا على صلاة النافلة، لما تشير إليها الأدلة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

ويأتي الأمر ببرّ الوالدين غالبا مقارن بتوحيد الله سبحانه وتعالى، يقول الله عزّ وجل: (**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى** ...) ‹2› وقوله: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ...) ‹3› هاتين الآيتين وغيرهما دليل واضح على عظيم منزلة الوالدين وأنّ حبهما مقدّم على أمور كثيرة، فهي تبين فترة الشيخوخة التي يبلغها الوالدين وحاجتهم في هذه الفترة إلى محبة الأولاد واحترامهم، فقد تعتريهم أمورا جديدة بالنسبة لهم وللأولاد، وقد يصبحوا غير قادرين على الحركة، ويكونون في أمسّ الحاجة إلى مساعدة الآخرين، لهذا جاءت الآيات لتؤصّل هذا الحب عند الأبناء.

لقد بين النبي ρ أنّ البلاء يحل بالأمة إذا ظهرت علاماته، ومن تلك العلامات عقوق الوالدين وطاعة الزوجة والأصدقاء فعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ρ: (إذا فعلت أمّتي خمس عشرة خصلة

---

[1] - الترمذي: سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب البر والصلة، باب في بر الخالة، حديث رقم 1904، ص1844.

[2] - سورة النساء، آية: 36.

[3] - سورة الإسراء، آية: 23.

حلّ بها البلاء)، قيل وماهي يا رسول الله ؟ قال: (... وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمّه وبرّ صديقه وجفا أباه ...)[1].

وعن ابن عمر τ قال: كان تحتي امرأة أحبها، وكان أبي يكرهها، فأمرني أبي أن أطلقها، فأبيت. فذكرت ذلك للنبي ρ فقال: (يا عبدالله بن عمر طلق امرأتك)[2].

أمّا بالنّسبة لتقديم حبّ الوالدين على صلاة التطوع فتكفينا في هذا قصّة جريج[3] الراهب مع أمّه، عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: (... وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمّه وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يارب أمّي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلمّا كان من الغد أتته فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلمّا كان من الغد أتته فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات. فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتنّنه لكم؟ قال: فتعرّضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فأنزلوه من صومعته وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم ؟ قالوا: زنيت بهذه البغي، فولدت منك ...)[4].

يتبيّن ممّا سبق مدى المنزلة التي أعطاها الله سبحانه وتعالى للوالدين، وأنّه قد تحدث أحيانا وجود مشاكل بين الأبناء والوالدين ممّا يجعلهم يبتعدون عنهم، أو كذلك وجود حب للأهل يتجاوز في منزلته حب الوالدين، وأنّ هذه الأمور تحدث غالبا عندما يكبر الأولاد ويستقلون عن والديهم، ويتركونهم دون رعاية وعناية، فجاءت الآيات والأحاديث لتبين فضلهما ومنزلتهما، وأنّه وكما كنت أيّها الإنسان

---

[1] - الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة المسخ والخسف، حديث رقم 2210، ص 1874.

[2] - المصدر نفسه، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء في الرجل يسأله أبوه أن يطلق زوجته، حديث رقم 1189، ص1769.

[3] - راهب من عباد بني اسرائيل وصلحاءهم.

[4] - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب البر والصلة والأدب، حديث رقم 5609، ص1125.

بحاجة إليهما وأنت صغير، فإنّهما أصبحا في حاجة لك الآن، وهما لا يستغنيان عنك، كما وأنّك ستصبح يوما ما بحاجة إلى أبنائك الذين ربيتهم ليكونوا لك في المستقبل خير معين.

فحريّ بنا أن نستشعر المسئولية تجاه الوالدين، ونعمل جاهدين لتقديم العناية المادية والمعنوية لهما، بما تكفل لهما حياة سعيدة بعيدة عن كل منغّص ومكدّر، لعلنا نعوّض لهما ولو جزءا يسيرا مما قدّموه خلال رحلة السنين وشقاء العمر.

المطلب الثالث: رعاية الوالدين كالجهاد في سبيل الله تعالى

تأكد برّ الوالدين في الإسلام حتى أنزل بمنزلة الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد روى عبدالله بن عمرو أنّ رجلا جاء إلى النبي ρ يستأذنه في الجهاد فقال: (أحي والداك ؟) قال: نعم، قال: (ففيهما فجاهد)[1]. عن أبي سعيد τ قال: أنّ رجلا من أهل اليمن جاء إلى رسول الله ρ يبغي الجهاد فقال له: (هل لك أحد باليمن ؟) قال: أبواي، قال: (أذنا لك ؟) قال: لا، قال: (فارجع إليهما فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما)[2].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: أتيت رسول الله ρ فقلت: يا رسول الله إنّي كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الأخرة، قال: (ويحك أحيّة أمّك ؟) قلت: نعم، قال: (ارجع فبرها). ثمّ أتيته من الجانب الآخر فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال:(ويحك أحيّة أمّك؟) قلت: نعم يا رسول الله، قال:(فارجع إليها فبرها)، ثمّ أتيته من أمامه فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال:(ويحك أحيّة أمّك ؟) قلت: نعم يا رسول الله، قال: (ويحك إلزم رجلها فثمّ الجنة)[3]. وعن عبدالله بن مسعود τ قال: سألت

---

[1] - المصدر السابق، كتاب البر والصلة والأدب، باب بر الوالدين وأيهما أحق به، حديث رقم 6504، ص1124.

[2] - المنذري: الترغيب والترهيب، حديث رقم 3651، ص 457.

[3] - ابن ماجه: سنن ابن ماجه، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان، حديث رقم2781، ص2644.

النبي ρ أي العمل أحبّ إلى الله عز وجل ؟ قال: (الصلاة في وقتها)، قلت: ثمّ أي؟ قال: (ثمّ برّ الوالدين)، قلت: ثمّ أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)[1].

فمن خلال هذه الشواهد تتضح لنا دعوة الإسلام الأبناء لرعاية الوالدين، واعتبار هذه الرعاية بمنزلة الجهاد في سبيل الله لنيل الأجر والمثوبة، بل وترجّح أحيانا البرّ على الجهاد فيما إذا كانت حاجة الوالدين ورعايتهما ملحّة، وكأن الجهاد والقتال في سبيل الله من الأمور المندوبة، ففي هذه الحالة فإنّ الرعاية والبر أولى من الجهاد المندوب.

وتحثّ أيضا هذه الشواهد الإبن على الصبر في رعاية والديه، واحتساب الأجر عند الله تعالى " وأنّه إن لم يحتملهما ويصبر عليهما وهو إبنهما فمن ذا الذي يصبر عليهما، وهما في أمسّ الحاجة إلى العطف والشفقة والرأفة "[2]، وهكذا نجد كيف تكررت الوصية بالوالدين، وكيف أنّها اقترنت بأوجب الواجبات المناطة بالمؤمن.

المطلب الرابع: مصاحبة الوالدين الكافرين

قال الله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [3].

تعتبر هذه الآية من أمّهات الآيات القرآنية الكريمة التي توجّه الإنسان المسلم لواجب الصلات الاجتماعية مابينه وبين أهله ومجتمعه، ويجعل الوالدين على رأس من تجب لهم الطاعة – في غير معصية الله – والرحمة والصلة والمصاحبة بالمعروف.

ولكن هل اقتصرت الوصية بهما حال كونهما مسلمين فقط ؟ أم أنّ الوالدان لهما حق على الأبناء وإن كانا كافرين ؟.

يقول عبدالرحمن حبنكة الميداني: " من واجب الولد أن يصاحب والديه الكافرين في الدنيا مصاحبة بالمعروف، أي بما هو معروف بين الناس من أصول

---

[1] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، باب البر والصلة، حديث رقم5970، ص506.

[2] - الشريدة، خالد: "رعاية المسنين بين القيم الدينية"، ج1، ص583 .

[3]- سورة لقمان، آيات: 14-15.

الإحسان في المصاحبة، وحين يطلبان منه أن يعصي الله في شيء لم يكن لهما عليه حق الطاعة، ولم يجز له أن يطيعهما في ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق مهما كان شأنه في معصية الخالق جلا وعلا" [1].

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا مثالا رائعا لنبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بيّن بره لأبيه الكافر وحواره معه وحرصه على هدايته، فقال: (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا* قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**) [2].

وقد حثّ النبي ρ الصحابة بمصاحبة الوالدين الكافرين مصاحبة حسنة في الكثير من المواقف، من ذلك الحديث الذي رواه أبوهريرة τ قال: مرّ رسول الله ρ بعبدالله بن أبي[3] وهو في ظل أطم، فقال: غبّر علينا ابن أبي كبشة[4]، فقال ابنه عبدالله بن عبدالله τ: يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت لآتينك برأسه؟ فقال: (لا، ولكن بر أباك وأحسن صحبته)[5].

وعن أسماء بنت أبي بكر[6] ψ قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ρ ومدتهم مع أبيها، فاستفتيت رسول الله ρ فقلت: يا

1- الميداني، عبدالرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج2، دار القلم، دمشق، ط4، 1417هـ/ 1996م، ص23.

2 - سورة مريم، آيات: 41-47.

3 - راس المنافقين وكبيرهم، عادى النبي ρ بعد الهجرة، وأسلم ظاهرا، نزلت فيه: (استغفر لهم أولا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم...) .

4 - اسم كان يطلقه رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول على النبي ρ .

5 - الكاندهلوي، محمد يوسف: حياة الصحابة، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1422هـ/2002م، ص268.

6 - ذات النطاقين بنت أبي بكر أول خلفاء النبي ρ وزوجة الصحابي الزبير بن العوام، من أوائل من أسلمت، هاجرت إلى المدينة وتوفيت في خلافة عبدالله بن مراوان.

رسول الله، إنّ أمّي قدمت عليّ وهي راغبة، أفأصلها ؟ قال: (نعم، صِليها)[1].
أي أنّها راغبة في أن أعطيها شيئا، أفأعطيها ؟ فقال لها النبي ρ: نعم، صلي أمّك، أي أعطيها.

وهذا الصحابي أبوهريرة τ يقول عن نفسه: ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبّني، وإنّ أمّي كنت أريدها على الإسلام فتأبى، فقلت لها فأبت، فأتيت النبي ρ فقلت: أدع الله لها، (فدعا)، فأتيتها وقد أجافت عليها الباب، فقالت: يا أباهريرة إني أسلمت، فأخبرت النبي ρ فقلت: أدع الله لي ولأمّي، فقال: (اللهم عبدك أبوهريرة وأمّه أحبّهما إلى الناس)[2].

إنّ الآيات والأحاديث ترشدنا لحسن معاملة الوالدين الكافرين، ومصاحبتهما بالمعروف والإحسان إليهما، ولكن في حدود، حيث أنّ طاعتهما تحدّها طاعة الله سبحانة وتعالى، وإن أمرا بما هو مخالف لطاعة الله فلا طاعة لهما، ويصاحبهما بالمعروف، مع تحيّن فرص عرض الإسلام عليهما، والحرص على هدايتهما، يقول الميداني "إنّ مبدأ الإحسان للوالدين مبدأ ثابت ولو كان الوالدان كافرين، ولكن هذا المبدأ لا يصح بحال من الأحوال أن يطغى على مبدأ وجوب الايمان بالله والتزام طاعته واتباع شريعته لعباده[3].

المطلب الخامس: صلة الوالدين بعد موتهما

إنّ من القيم الإسلامية العظيمة التي حثنا عليها الإسلام، صلة الوالدين بعد موتهما، إذ لا تقتصر هذه الصلة على حال حياتهما فقط، بل تتعداها لتشمل أمورا كثيرة بعد موتهما، متمثلا في صلة صديقهما، والدعاء لهما، والتصدق عنهما ... الخ، وهذا ما أكده لنا النبي الأكرم ρ في أحاديثه الآتية:

---

[1] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الجزية، (لايوجد اسم الباب)، حديث رقم3183، ص258.

[2] - البخاري، محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهري، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1419هـ/1998م، باب عرض الإسلام على الأم النصرانية، حديث رقم34، ص21.

[3] - الميداني، عبدالرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج2، ص23.

1- صلة صديق الوالدين:

عن عبدالله بن عمر τ أنّ رسول الله ρ قال:(أبرّ البرّ أن يصل الرجلُ ودّ أبيه)[1].

مرّ ابن عمر على أعرابي فقال له: ألست فلان بن فلان ؟ قال: بلى، فأعطاه حماره وعمامته، وقال: إنّي سمعت رسول الله ρ يقول: (إنّ من أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي، وإنّ أباه كان صديقا لعمر)[2].

وفي المسند أنّ يوسف بن عبدالله بن سلام قال: " أتيت أبا الدرداء في مرضه الذي قبض فيه، فقال لي: يا ابن اخي ما أعمدك إلى هذا البلد ؟ أو ما جاء بك ؟ قال: قلت لا، إلا صلة ما كان بينك وبين والدي عبدالله بن سلام ..."[3].

إنّ هذه الأحاديث لتعتبر "رائعة من روائع المفاهيم الإسلامية في مبادئ السلوك الخلقي، فبرّ الوالدين لا يقتصر على الإحسان المباشر إليهما، بل هو يتعدى إلى الإحسان إلى كل من يسرّهما الإحسان إليه"[4]، والإنسان الواصل في حقيقة صلته هذه يبقي المودة بينه وبين أصحابه ويديمها، ويديم أواصر المحبة بينه وبين هذه الفئة المحتاجة لأقل مشاعر الرحمة، وهم في الغالب كبار السن.

2- الدعاء لهما:

روى أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي[5] قال: بينما نحن عند النبي ρ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله أبقي من برّ أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما ؟ قال: (نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإيفاء بعهودهما من بعد

---

1 - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة أصدقاء الأب والأم، حديث رقم 6514، ص1125. الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في إكرام صديق الوالد، حديث رقم 1903، ص1844.

2 - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، حديث رقم6515، ص1126.

3 - الشيباني: المسند، حديث رقم 28096، ص2056.

4 - الميداني، عبدالرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج2، ص29.

5 - عامر بن عوف الخزرجي الساعدي البدري، صحابي جليل توفي سنة 60هـ.

موتهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما)[1]. وعن أبي هريرة أنّ رسول الله ρ قال: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[2].

3- التصدق عنهما:

عن عائشة[3] ψ أنّ رجلا قال للنبي ρ: إنّ أمّي افتلتت نفسها، وأراها لو تكلمت تصدّقت، أفأتصدق عنها ؟ قال:(نعم، تصدق عنها)[4]. وعن ابن عباس ψ أنّ سعد بن عبادة τ استفتى رسول الله ρ فقال: إنّ أمّي ماتت وعليها نذر، فقال:(اقضه عنها)[5].

ولم يترك النبي ρ بيان نوع الصدقة وأفضلها إلا وبينه، فعن سعد بن عبادة τ قال: يا رسول الله، إنّ أم سعد ماتت فأي الصدقة أفضل ؟ قال: (الماء). قال: فحفر بئرا وقال هذه لأمّ سعد[6].

4- الصوم عنهما:

عن ابن عباس τ قال: ركبت امرأة البحر فنذرت أن تصوم شهرا، فماتت قبل أن تصوم، فجاءت أختها النبي ρ فذكرت ذلك له، فأمرها أن تصوم عنها[7]. وعن

---

1 - ابن ماجه: سنن بن ماجه، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب الأدب، باب صل من كان أبوك يصل، حديث رقم 3664، ص2696.

2 - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الوصية، باب مايلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم4223، ص963. الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب الأحكام، باب ماجاء في الوقف، حديث رقم1376، ص1791.

3 - زوجة النبي ρ البكر، تزوجها وعمرها تسع سنوات، الفقيهة الأديبة الشاعرة، روت عنه ρ الكثير من الأحاديث، توفيت سنة 58هـ.

4 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الوصايا، باب مايستحب لمن توفي فجأة أن يتصدقوا عنه، حديث رقم2760، ص222. ومعنى افتلتت نفسها: أي أنّها ماتت فجأة دون وصية ولم تقدر على الكلام قبل الموت.

5 - المصدر نفسه، كتاب الوصايا، باب ما يستحب لمن توفي فجأة أن يتصدقوا عنه، حديث رقم2761، ص222.

6 - أبوداود: سنن أبي داود، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء، حديث رقم1681، ص1348.

7 - النسائي: سنن النسائي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الإيمان والنذور، من نذر أن يصوم ثم مات قبل أن يصوم، حديث رقم3847، ص2338.

أبي هريرة τ أنّ رجلا قال للنبي ρ: إنّ أبي مات وترك مالا ولم يوص، فهل يكفر عنه إن تصدّقت عنه ؟ قال: (نعم)[1].

5- <u>الحج عنهما</u>:

عن ابن عباس τ قال: جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله إنّ فريضة الله على عباده في الحج، أدْرَكتْ أبي شيخا كبيرا، لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه ؟ قال: (نعم). وذلك في حجة الوداع[2].

وعن بريدة[3] τ قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ρ إذ أتته امرأة فقالت: إنّي تصدقت على أمّي بجارية، وإنّها ماتت، قال: فقال: (وجب أجرك وردها عليك الميراث)، قالت: يا رسول الله إنّه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها ؟ قال:(صومي عنها)، قالت: إنّها لم تحج قط، أفأحج عنها ؟ قال: (حجّي عنها) [4].

6 – <u>زيارة قبريهما</u>:

عن أبي هريرة τ أنّ النبي ρ زار قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله، فقال:(استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنّها تذكر الموت)[5]. وعن بريدة قال: قال رسول الله ρ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها)[6].

---

1 - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الوصية، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت، حديث رقم1630، ص963.

2 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، حديث رقم1513، ص120. مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز، حديث رقم3251، ص900.

3 - بريدة بن الخصيب بن عبدالله الأسلمي المروزي، أسلم عام الهجرة، وشهد غزوة خيبر وفتح مكة، وكان معه اللواء، سكن البصرة ثم خراسان، توفي سنة 62هـ.

4 - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز، حديث رقم2697، ص861. الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب الزكاة، باب ماجاء في المتصدق يرث صدقته، حديث رقم667، ص1712.

5 - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، باب استئذان النبي ρ في زيارة قبر أمه، حديث رقم2259، ص831. النسائي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الجنائز، زيارة قبر المشرك، حديث رقم2036، ص2220.

6 - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، باب استئذان النبي ρ في زيارة قبر أمه، حديث رقم2260، ص831.

يتبين لنا من هذه الأحاديث النبوية الشريفة وجوب برّ الأبناء بآبائهم بعد وفاتهم، وهذه الصلة تكاد تكون شبه معدومة في جميع التشريعات الموجودة، وهي إحدى صور البر الرائعة في المجتمع المسلم، حيث تربط الإنسان بأفراد مجتمعه، وحيث لا ينسى فضل صاحب الفضل، وردّ الجميل بدعوة أو بصدقة أو بصلة.

المطلب السادس: العقوق

العقوق عبارة عن سلوك منحرف لدى الشخص، وهو يمثل تحولا خطيرا لنظام الرابطة بينه وبين بعض أفراد مجتمعه، ويمتدّ أثره إلى العلاقات الاجتماعية فيهتز نظام المجتمع المتماسك ويقوّض بنيانه.

وقد نهى الاسلام عن عقوق الوالدين أو التسبب بإيذائهما نفسيا أو معنويا أو ماديا، قولا أو فعلا، بل عدّ ذلك من أكبر الكبائر، ووعد مرتكبيها بأنّهم من شرار الخلق، ثمّ توعّدهم بأن لا ينظر إليهم يوم القيامة، كما حرّم عليهم الجنة ولا يقبل منهم عبادتهم وأعمالهم.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ψ أنّ رسول الله ρ قال: (من الكبائر شتم الرجل والديه)، قالوا: يا رسول الله وهل يشتمُ الرجل والديه؟ قال: (نعم، يسبّ الرجل، فيسبّ أباه ويسب أمّه)[1]. يبيّن هذا الحديث أن العقوق والأذيّة ربّما لا تكون بشكل مباشر، وإنّما عن طريق أن يسبّ أبا شخص آخر، فيرد عليه بأن يسبّ أباه وأمّه انتصارا لنفسه.

عواقب عقوق الوالدين:

إنّ عقوق الوالدين لها عواقب كثيرة حذر منها النبي ρ وبين أن عواقبها لا تقتصر على العقاب الأخروي وإنّما يُتعجل للعاق جزاء فعلته العقاب والجزاء في الدنيا قبل الآخرة، إضافة إلى ذلك بأن العقوق يعتبر من كبائر الذنوب والتي لا تغتفر إلا بالتوبة الصادقة، نذكر منها:

1- العقوق سبب في سخط الله تعالى على الإنسان والطرد من رحمته:

[1] - مسلم: صحيح مسلم،، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، حديث رقم263، ص693.

عن أبي ذرّ[1] τ عن النبي ρ قال: (ثلاثة لا ينظر الله عزوجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنّان بما أعطى)[2]، وعن عبدالله بن عمرو ψ عن النبي ρ قال: (رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد)[3].

2- <u>العقوق من أكبر الكبائر</u>:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ψ أنّ رسول الله ρ قال: (إنّ من الكبائر شتم الرجل والديه)، قالوا: وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال: (نعم، يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسبّ أمّـه، فيسبّ أمّه)[4].

وعن أبي بكرة[5] τ قال: قال رسول الله ρ: (ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر ؟) - ثلاثا- قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ...)[6]. وعن أنس τ قال: ذكر رسول الله ρ الكبائر – أو سئل عن الكبائر- فقال: (الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين ...)[7].

3- <u>العقوق عقوبته عاجلة في الدنيا قبل الآخرة</u>:

---

[1] - جندب بن جنادة، صحابي من أوائل من تابع النبي ρ وشهد معه المعارك، اشتهر بتقواه وتقشفه، توفي سنة 32هـ.

[2] - النسائي: سنن النسائي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، حديث رقم2563، ص2253.

[3] - الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب البر والصلة، باب الفضل في رضا الوالدين، حديث رقم 1899، ص1843

[4]- مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة،، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، حديث رقم263، ص693.

[5] - نفيع بن الحارث، صحابي لقب بأبي بكرة لأنه تدلى بواسة بكرة من أسوار الطائف لما حاصرها النبي ρ توفي سنة 51هـ.

[6] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، حديث رقم5976، ص506. الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب الشهادات، باب ماجاء في شهادة الزور، حديث رقم2301، ص1883.

[7] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، حديث رقم5977، ص506.

عن أبي بكرة τ قال: قال رسول الله ρ: (اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين)[1]، وعنه τ عن النبي ρ قال: (كل الذنوب يؤخر الله منها ماشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنّ الله يعجل لصاحبه في الحياة قبل الممات)[2].

4- <u>العقوق من موانع مغفرة الذنوب:</u>

عن أبي أمامة τ قال رسول الله ρ: (ثلاثة لا يقبل الله عزّ وجلّ منهم صرفا ولا عدلا: عاق ومنّان ومكذب بقدر)[3].

5- <u>العقوق من موانع دخول الجنة:</u>

عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: (رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه). قالوا: يا رسول الله من؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما فدخل النار)[4].

وهكذا نرى ما للعقوق من آثار سيّئة على الإنسان، إذ إنّه " سلوك منحرف يمتد خطره إلى كل جوانب الحياة الإجتماعية بدءا من الأبوين وامتدادا لكل رموز المجتمع، كما أنّه يمثل تحولا خطيرا هادما لنسق القيم الأصيلة في مجتمعنا والتي حفظت لها تماسكها ووحدتها، بل وتعّدت هذه الآثار على الشخص بالدرجة الأولى حيث أوردته في نهاية المطاف إلى سوء الخاتمة والطرد من رحمة الله تعالى"[5].

إنّ الوالدين قد أحسنا إلينا في الصغر، وسهرا على راحتنا، ودفعوا الغالي والنفيس في سبيل أن نعيش عيشة هنيئة، فهل جزاؤهما أن نقابل هذا الإحسان بالإساءة حينما تتغير المواقع ؟ لقد كنا بحاجة إلى ذلة الوالدين عند قوتهما ونحن صغار، والآن أصبح الوالدان بضعفهما بحاجة إلى ذلة الأبناء عند قوّتهم، قال الله تعالى: (**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**) [6].

---

[1] - الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الأدب المفرد، مكتبة الدليل، د.م، ط4، 1418هـ/1997م، باب عقوبة عقوق الوالدين، حديث رقم 23-29، ص42.

[2] - المنذري: الترغيب والترهيب، حديث رقم2691، ص480.

[3] - المنذري: الترغيب والترهيب، حديث رقم 3685، ص479.

[4] - البخاري، محمد بن اسماعيل: الأدب المفرد، ج1، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1419هـ/ 1998م، حديث رقم10، ص13.

[5] - خليل، محمد بيومي: سيكلوجية العلاقات الأسرية، دار قباء، القاهرة، د.ط، 2000م، ص223.

[6] - سورة الإسراء، آية: 24.

يتضح لنا أنّ برّ الوالدين ورعايتهما ومصاحبتهما بالمعروف يمكن أن " نعدّها مظهرا من مظاهر رعاية المسنين في المجتمع المسلم، إذ الغالب الأعم أنّ الوالدين كبيران في السن، فبجانب البرّ الذي أمر الله به هناك رعاية المسن في المجتمع "[1] والوالدان هما جزء من هذه الفئة التي تتطلب منّا الاهتمام بهم بكل السبل وتوفير أسباب الراحة والعيش الرغيد لهما.

المبحث الثاني: تكريم الإسلام للمسنين

مرحلة الشيخوخة من المراحل التي أعطاها الإسلام عناية خاصة من الاحترام والتقدير والتكريم، بل وجعل ذلك ضربا من العبادة المفروضة والتي تثقل الميزان يوم القيامة، وأوصى بالشيوخ داخل الأسرة وفي المجتمع، سواء كانوا مسلمين أم لا، بل وكرّمهم حتى في الحروب، وهذا ما لم نره في أيّة أمّة من الأمم، كما سنرى ذلك من خلال المطالب الآتية.

المطلب الأول: تكريم ذي الشيبة وتوقيره

وضع التشريع الإسلامي قواعد رئيسيّة مهمّة في مجال تكريم الإنسان بشكل عام، والشيوخ منهم بشكل خاص، بل جعل لهم مكانة مرموقة، ومنزلة عالية، وضمن لهم من خلال تشريعاته احترامهم وتقديرهم، وكفل لهم حياة كريمة، قال الله تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**)[2]، وقول النبي ρ فيما رواه أنس بن مالك قال: (ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا)[3].

---

[1] - السدحان، عبدالله بن ناصر: رعاية المسنين في الإسلام، جمعية الإصلاح، البحرين، د.ت، د.ط، ص43.

[2] - سورة الإسراء، آية: 70.

[3] - الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب البر والصلة، باب ماجاء في رحمة الصبيان، حديث رقم 1919، ص1845.

إنّ تخصيص الشرع كبار السن بالعناية والرعاية من بين سائر الفئات يعود إلى أنّ الكبر مظنّة الإهمال والضجر من الناس، لذلك نراه علاوة على الأمر بتكريمهم لم يغفل أمورا عملية ينبغي مراعاتهم، ومنها:

1- يبدأ الأكبر بالكلام:

للكبير حق الكلام قبل الصغير، فعن عائشة ψ قولها عن الرسول ρ أنّه قال: (أنزلوا الناس منازلهم)[1]. وعن أبي سعيد سمرة بن جندب[2] τ قال:" لقد كنت على عهد رسول الله ρ غلاما فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أنّ ههنا رجالا هم أسنّ منّي"[3].

2- تقديمه لإمامة الناس في الصلاة:

عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ρ: (يؤمّ القوم أقرأهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة، فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمّهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمّهم أكبرهم سنّا، ولا تؤمنّ الرجل في أهله ولا في سلطانه، ولا تجلس على تكرمته في بيته إلا أن يأذن لك، أو بإذنه)[4].

3- ابتداؤه بالسلام:

عن أبي هريرة عن النبي ρ أنّه قال: (يسلم الصغير على الكبير، والمارّ على القاعد، والقليل على الكثير)[5].

4- تقديمه في كل الأمور:

عن ابن عباس τ أنّ النبي ρ قال: (ابدؤوا بالأكابر فإنّ البركة مع أكابركم)[6]، وعن ابن عمر τ أنّ النبي ρ قال: (أمرني جبريل أن أكبر)[7].

---

[1] - أبو داود: سنن أبي داود، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، حديث رقم4842، ص1579.

[2] - سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي جليل، قدمت به أمه إلى المدينة بعد موت أبيه وهو صغير، غزا مع النبي ρ وحفظ عنه الكثير، نزل البصرة وتوفي فيها سنة 58هـ.

[3] - مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الجنائز، باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه، حديث رقم2234، ص829.

[4] - المصدر نفسه، كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، حديث رقم291، ص782.

[5] - الترمذي: سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب الاستئذان والآداب، باب ماجاء في تسليم الراكب على الماشي، حديث رقم2704، ص1924.

[6] - الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: كنزل العمال، ج2، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، د.ت، حديث رقم 25426، ص1773.

[7] - المصدر نفسه، ج2، حديث رقم 24801، ص903.

5- الإفساح له في المجلس:

عن أنس τ قال: جاء شيخ يريد النبي ρ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ρ: (ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا)[1].

6- تخفيف الصلاة من أجله:

عن أبي هريرة τ أنّ رسول الله ρ قال: (إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإنّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)[2].

7- تقديمه في العطاء:

عن سهل بن سعد الساعدي[3] τ أنّ رسول الله ρ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: (أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟)، فقال: لا والله، لا أؤثر بنصيبي منك أحد، فتله رسول الله ρ في يده [4]. إنّما كانت استشارة النبي ρ للغلام حيث كان يجلس عن يمينه ρ، وأنّ الرسول ρ كان يحبّ التيامن في الأمور كلها، وإلا لما سأل الغلام أن يعطي هؤلاء الأشياخ إن كان الغلام عن يساره ρ وهم عن يمينه.

لقد راعى النبي ρ الناحية النفسية عند المسنين حيث مدح الشيب، فعن عمرو بن عبسة السلمي[5] عن النبي ρ قال: (من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا

---

1 - الترمذي: سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، حديث رقم1919، ص1845.

2 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، حديث رقم703، ص56. مسلم: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في التمام، حديث رقم1047، ص751.

3 - من مشاهير الصحابة، كان اسمه حزنا فسماه النبي ρ سهل، وكان آخر من مات من الصحابة بالمدينة فقد توفي سنة 91هـ.

4 - الأصبحي، مالك بن أنس: الموطأ، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار القلم، بيروت، ط1، د.ت، ص315.

5 - أبو نجيح، صحابي جليل، أسلم قديما وهاجر إلى المدينة، ثم نزل الشام، ثم حمص وتوفي بها.

يوم القيامة)[1]. بل أمر بتغيير الشيب حتى لا يترك أثرا في نفوسهم فعن أنس بن مالك τ قال : قال رسول الله ρ: (غيّروا الشيب ولا تقربوا السواد)[2].

ومراعاة لهم أيضا صبّرهم على البلاء الذي يصيبهم في هذه السن وبشّرهم بأجر الصبر والاحتساب، ففي الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو ψ عن النبي ρ قال: (ما من أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله عزوجل الملائكة الذين يحفظونه فيقول: أكتبوا لعبدي كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي)[3]. ذلك لأنّ " بعض الكبار يحرص على النوافل والطاعات طلبا للأجر والمثوبة وهذا يكلفه، فقد وضح الإسلام للمسن أنّه لو ترك ما كان يعمل وهو شاب أو صحيح معافا، ثم عجز عن العمل أو منعه منه مانع كسفر أو مرض أو كبر ... الخ فإنّ الأجر والمثوبة تكتب له وكأنّه قد قام بهذا العمل الذي كان مستمرا على القيام به حال صحته"[4].

وهكذا نرى كيف أكرم الإسلام الكبير المسن، وجعل له مكانة متميزة، وخصّه بالكثير من الأحكام، حتى يتعامل معه المجتمع بكل توقير واحترام، واضعا نصب عينيه قول النبي ρ فيما رواه عنه عبدالله بن عمرو ψ: (من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منّا)[5].

المطلب الثاني: رعاية الكبار في الحروب

إنّ أبرز الأمور التي شُرع الحرب من أجلها في الإسلام هو إعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه، إحقاقا للحق، وتحريرا للناس من العبودية التي هم فيها، لهذا فإنّ من مبادئ الإسلام في الحرب أن لا تقاتل إلا من يقاتل، ولا يعتدى إلا على من يعتدي، قال الله تعالى: (**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ**

---

[1] - الترمذي: جامع الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، أبواب فضائل الجهاد، باب ماجاء في فضل من شاب شيبة في الإسلام، حديث رقم1634، ص1819.

[2] - الشيباني: المسند، حديث رقم13623، ص955.

[3] - المصدر نفسه، حديث رقم6482، ص491.

[4] - عبداللطيف، رشاد أحمد: في بيتنا مسن، ص201.

[5] - أبو داود: سنن أبي داود، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأدب، باب الرحمة، حديث رقم4943، ص1585.

يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ) [1]، وقال أيضا: (... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [2]، فالجزاء من جنس العمل، وهؤلاء بفعلهم هذا إنّما يقفون عقبة في وجه تبليغ الرسالة إلى الناس، أمّا من لم يشارك في الاعتداء من الأطفال والنساء والشيوخ والضعفاء فهؤلاء لهم معاملة خاصة لم يعاملوا بها إلا من قبل الفاتحين المسلمين فقط.

فعن أنس بن مالك τ أنّ رسول الله ρ قال: (... انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين)[3].

وعن ثوبان[4] τ مولى رسول الله ρ أنّه سمع رسول الله ρ يقول: (من قتل صغيرا أو كبيرا أو أحرق نخلا أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لإهابها لم يرجع كفافا)[5].

هذه وصايا النبي ρ بالكبار، والتي سار على هديها خلفاءه من بعده، فهذا خليفته أبو بكر الصديق τ يقول في وصيته لبعث أسامة بن زيد[6] إلى الروم بعد وفاة النبي ρ: " أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني، لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدرواولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوا شجرة مثمرة ..."[7].

---

[1] - سورة البقرة، آية: 190.

[2] - سورة البقرة، آية: 194.

[3] - أبو داود: سنن أبي داود، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، حديث رقم 2614، ص1416.

[4] - ثوبان بن بجدد، مولى رسول الله ρ اشتراه ثم أعتقه، فلم يزل في خدمته حتى توفي ρ ثم نزل حمص، وتوفي سنة 54هـ.

[5] - الشيباني: المسند، حديث رقم27726، ص1655.

[6] - مولى رسول الله ρ وحبه وبن حبه، وقد أمّره ρ على جيش فيه عمر بن الخطاب، فلما توفي ρ أنفذ جيشه خليفته أبوبكر الصديق، توفي بالمدينة سنة 54هـ.

[7] - ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، ج2، دار بيروت، بيروت، د.ط، 1358هـ/1965م، ص335.

جاء في العهد الذي أبرمه خالد بن الوليد[1] τ مع أهل الحيرة في عهد أبي بكر الصديق ما يأتي: " أيّما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام ..."[2].

روى أبو عبيد[3] في كتاب الأموال أنّ عمر بن عبدالعزيز[4] كتب إلى عامله عدي بن أرطأة وهو على البصرة، يقول "... وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، فلو أنّ رجلا من المسلمين كان له مملوكا كبرت سنّه، وضعفت قوتهّ وولت عنه المكاسب، كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرّق بينهما موت أو عتق"[5].

هذه نماذج – وهناك الكثير – لرعاية المسلمين للكبار في الحروب والأزمات، هذه المعاملة والرعاية لم تصل إليها أمّة من الأمم، ولا قانون ولا شريعة غير شريعة سيدنا محمد ρ شريعة العدل والحب والحق، فقد سبقت الكل، في حين نجد أنّ الغرب لم ينتبه لهذه القيم إلا في عام 1856م حين رسمت أوّل معاهدة حول آداب الحرب عرفت باسم " تصريح باريس الحربي" والتي تلتها عدة اتفاقيات من أبرزها اتفاقية جنيف عام 1949م الخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب، وحماية الأشخاص المدنيين.

ونرى أنّ بنود هذه الاتفاقيات تطبق فقط حينما يريد الغرب تطبيقها، وتعطل عمّن يرى الغرب أنّهم أعداء لهم وخصوصا على المسلمين، في حين نرى أنّ الإسلام لا يفرّق بين عدو وصديق حينما يتعلق الأمر بحسن الخلق ولين الجانب والرحمة بالضعيف.

---

[1] - المخزومي، فارس الإسلام، سماه النبي ρ سيف الله المسلول، حارب قبل إسلامه المسلمين، وكان سببا لنصر قريش في غزوة أحد، وأسلم قبل الفتح، كان قائدا لقوات أبوبكر الصديق، فما خاض حربا إلا انتصر، توفي في حمص زمن عمر بن الخطاب حوالي سنة 22هـ.

[2] - العقاد، عباس محمود: عبقرية خالد، نهضة مصر، القاهر، د.ط، د.ت، ص125.

[3] - البكري، مؤرخ جغرافي أندلسي، توفي سنة 1094م.

[4] - الخليفة الأموي الثامن، اعتبر خامس الخلفاء الراشدين وذلك لسيرته وعدله في الرعية، وقد اهتم بالإصلاح الإداري والمالي مدة خلافته، توفي سنة 101هـ.

[5] - ابن سلام، القاسم: كتاب الأموال، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1988، ص54.

يقول عبدالله ناصر السدحان: " أمّا الإسلام فكانت هذه الآداب الحربية تطبق ابتداء، وحتى ولو لم يكن هناك أية اتفاقات أو معاهدات، فها هي سرايا رسول الله ρ تنطلق يمنة ويسرة ناشرة الخير والنور"[1]، ويقول مصطفى السباعي[2]: "إنّ حسن الخلق ولين الجانب والرحمة بالضعيف والتسامح مع الجار والقريب تفعله كل أمّة في أوقات السلم مهما أوغلت في الهمجية، ولكن حسن المعاملة في الحرب، ولين الجانب مع الأعداء والرحمة بالنساء والأطفال والشيوخ، والتسامح مع المغلوبين، لا تستطيع كل أمّة أن تفعله، ولا يستطيع كل قائد حربي أن يتصف به. إنّ رؤية الدم تثير الدم، والعداء يؤجج نيران الحقد والغضب، ونشوة النصر تسكر الفاتحين فتوقعهم في أبشع أنواع التشفي والانتقام "[3]، وهذا ما يراه كل قارئ لكتب التاريخ، كيف فعل التتار بالمسلمين، وكيف فعل الصليبيون عندما دخلوا بيت المقدس، وماذا يفعل أمريكا والغرب بالمسلمين الآن !!.

المطلب الثالث: طول العمر مع العمل الصالح أمر محبّب في الإسلام

إنّ مرحلة الكبر أو العمر المتقدم عند الإنسان ليس شرا أو مذلة في نظر الإسلام، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ρ قال:(ألا أنبئكم بخيركم؟) قالوا: نعم يا رسول الله. قال: (خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا)[4]، وعن عبدالله بن شداد أنّ رسول الله ρ قال: (.. ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمّر في الإسلام لتسبيحة وتكبيرة وتهليلة)[5].

---

[1] - السدحان، عبدالله ناصر: رعاية المسنين في الإسلام، ص36.

[2] - واحد من أبرز رجالات سوريا، كان مرشدا لجماعة إخوان المسلمين ثم عميدا لكلية الشريعة، له عدة مؤلفات منها: "هكذا علمتني الحياة" و"من روائع حضارتنا" وغيرها.

[3] - السباعي، مصطفى: من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط5، 1407هـ/1987م، ص95.

[4] - الشيباني، أحمد بن حنبل: المسند، حديث رقم7211، ص547.

[5] - المصدر نفسه، حديث رقم 1402، ص 150.

وأكد ρ على أنّ عمر الإنسان المؤمن إن طال فهو خير له، قال عوف بن مالك[1]: يا طاعون خذني إليك. فقالوا: أليس قد سمعت رسول الله ρ يقول: (ما عمّر المسلم كان خيرا له) قال: بلى ... [2]، وقوله ρ فيما رواه أنس: (ألا أنبئكم بخياركم ؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (خياركم أطولكم أعمارا إذا سددوا)[3].

بل إنّ الله سبحانه وتعالى ليطيل أعمار بعض عباده لما يرى فيهم الخير، فقد روى ابن مسعود τ أن النبي ρ قال: (إنّ لله عبادا يضنّ بهم عن القتل، ويطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسن أرزاقهم، ويحييهم في عافية، ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش، فيعطيهم منازل الشهداء)[4].

إنّ النبي ρ أحيانا كان يدعو لصحبه بطول العمر، كما كان دعاؤه لخادمه أنس، فقد قال أنس τ: أنّ أمّه قالت: يارسول الله خادمك أنس أدع الله له، قال: (اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته)[5].

أمّا حينما استعاذ النبي ρ من الكبر في حديث أنس قوله ρ: (اللهم إنّي أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم ...)[6] فإنّه ρ قد تعوّذ من أقصى مراحل نهاية العمر، أي المرحلة التي تكون قبل الموت، وهذه الاستعاذة لا تعني أنّه ρ استعاذ من الكبر بعمومه، وإنّما كان لتلك المرحلة التي تتوقف فيها قدرات الإنسان الإنتاجية والعقلية فتتوقف عن العطاء، والتي يقول الله تعالى عنها: (

---

1 - الأشجعي الغطفاني، صحابي جليل، أول مشاهده فتح مكة، وكان حامل لواء قومه، سكن دمشق وتوفي فيها.

2 - الشيباني: المسند، حديث رقم 24470، ص 1796.

3 - التميمي، أحمد بن علي: مسند أبي يعلى الموصلي، ج6، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون للتراث، د.ت، د.ط، بيروت، ص214.

4 - الهندي: كنز العمال، ج1، حديث رقم 11241، ص425.

5 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة، حديث رقم 6378، ص536.

6 - المصدر نفسه، كتاب الجهاد، باب ما يتعوذ من الجبن، حديث رقم 2823، ص227.

وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) [1].

يتبين من هذه الأحاديث أنّ النبي ρ مدح الشيب، وبين أنّها مرحلة عمرية جديرة بالاحترام، وأنّها مرحلة إن سارت وتقوى الله تعالى عند الإنسان جنبا إلى جنب، فإنّ صاحبها قد فاز بعطف الله تعالى عليه. لهذا فحريّ بالإنسان المسلم أن لا يتطاول على " الشيوخ استكبارا، وألا يمسّهم بما يخدش حسّهم وشعورهم، بل عليه أن يجلهم بما يستوجبونه من كريم الإنزال، وفاضل الخلق، حتى أنّ النبي ρ نفى تمام الإيمان عمن يؤذون الكبار، فلا يعتبرون فيهم شرف السن وجلاله وتكريمه[2].

المبحث الثالث: التخفيفات الشرعية الواردة في حق المسنين

أعطى الإسلام للمسن حقوقا شرعية خاصة، خفف عليه من خلالها الكثير من أحكام العبادات وذلك مراعاة لحالة الضعف والشيخوخة التي يمرّ بها، كما سنرى ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: صلاة كبير السن

راعت الشريعة الغرّاء أمور المسن، وخففت عنه الأحكام في عباداته، وسهّلت عليه أداءها بقدر استطاعته، ومن ذلك الركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة، حيث نجد أنّه قد خفف عليه بعض أحكامها مراعاة لحالة كبره وما يصاحبها من ضعف ووهن.

---

[1] - سورة التوبة، آية: 70.

[2] - آل شارع، عبدالله النافع وزميله: " سيكولوجية الشيخوخة في ضوء الهدي النبوي"، رعاية المسنين في الإسلام، دار البحوث العلمية، الكويت، د.ط، 1408هـ/1988م، ص215.

فإذا جئنا لمسألة الطهارة في الوضوء والغسل، نرى أنّه شرع التيمم لمن كان مريضا لا يقدر على الحركة، ويشق عليه، ولا يجد من يناوله الماء[1].

وأمّا بالنّسبة للصلاة فإنّه شرع للضعيف ومن في حكمه من كبير سن وغيره، نالته مشقة لا يستطيع معها القيام، أن يصلي حسب استطاعته امتثالا لقول الله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ...) [2] كما ورد عن عمران بن حصين[3] قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ρ عن الصلاة، فقال: (صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنبك)[4].

وعن الحسين بن علي بن أبي طالب[5] τ عن النبي ρ قال: (يصلي المريض قائما إن استطاع، فإن لم يستطع صلى قاعدا، فإن لم يستطع أن يسجد أوْمى، وجعل سجوده أخفض من ركوعه، فإن لم يستطع أن يصلي قاعدا صلى على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، فإن لم يستطع أن يصلي على جنبه الأيمن صلى مستلقيا رجله مما يلي القبلة)[6].

كذلك روت السيدة عائشة ψ أنّها لم تر رسول الله ρ يصلي صلاة الليل قاعدا قط حتى أسنّ، فكان يقرأ قاعدا حتى إذا أراد أن يركع قام فقرأ نحوا من ثلاثين آية أو أربعين آية ثم يركع[7]. يقول ابن تاج الدين " إذا قدر على القيام ولم يقدر على

---

[1] - ابن قدامة، عبدالله بن أحمد المقدسي: المغني والشرح الكبير، ج1، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1346هـ، ص240. (بتصرف).

[2] - سورة التغابن، آية: 16.

[3] - صحابي جليل أسلم عام خيبر، وغزا مع النبي ρ عدة غزوات، وكان معه راية خزاعة يوم فتح مكة، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه الناس، توفي سنة 52هـ.

[4] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب التهجد، باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنبه، حديث رقم 1117، ص87.

[5] - حفيد النبي ρ الابن الثاني لعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، وفض مبايعة يزيد، وخذله شيعته، وقاتل حتى استشهد في كربلاء سنة 61هـ.

[6] - الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: كنز العمال، ج1، م.س، حديث رقم 20197، ص752.

[7] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب التهجد، باب إذا صلى قاعدا ثم صح أو وجد خفة ثم بقي، حديث رقم1118، ص87.

الركوع والسجود لم يلزمه القيام، ويصلي قاعدا بإيماء، وإن قدر على الركوع والسجود لا يلزمه القيام، ويصلي قاعدا بركوع وسجود" ‹1›.

وقد شدّد النبي ρ أيّما تشديد على الذي يصلي بالناس أن يخفف عليهم الصلاة رفقا بهم، لوجود المريض وذا الحاجة بينهم، فقد روى أبوهريرة τ أنّ رسول الله ρ قال: (إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإنّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)‹2›.

يقول الإمام الشوكاني‹3›: " وأحاديث الباب تدل على مشروعية التخفيف للأئمة، وترك التطويل للعلل المذكورة من الضعف والسقم والكبر والحاجة واشتغال خاطر أم الصبي ببكائه، ويلحق بها ما كان في معناها "‹4›.

وكذلك يمكن للمريض - والمسن في حكمه - الذي يشق عليه أن يؤدي كل فرض في وقته، من مرض أو ضعف أن يجمع بين الفرضين، قيل لأبي عبدالله وهو الإمام أحمد‹5›: أنّ المريض يجمع بين الصلاتين فقال: " إنّي لأرجو له ذلك إذا ضعف، وكان لا يقدر إلا على ذلك" ‹6›.

ومن التخفيفات أيضا جلسة الاستراحة، فقد ذكر بعض الأئمة أنّها خاصة لمن كبر سنه وضعف عن القيام مباشرة، فإنّه يجلس جلسة خفيفة بعد الفراغ من السجدة الثانية، وقبل النهوض إلى الركعة الثانية والرابعة، وهذه الجلسة مراعاة لضعفهم، وتخفيفا عليهم، وقد ثبت أنّ النبي ρ كان يفعلها بعد أن بدن

---

1 - ابن تاج الدين، أحمد بن إبراهيم بن خليل: أحكام المرضى، تحقيق: محمد سرور محمد مراد البلخي، د.د، الكويت، ط1، 1418هـ/ 1997، ص91.

2 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، حديث رقم 703، ص56. النيسابوري: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في التمام، حديث رقم1047، ص751.

3 - محمد بن علي، فقيه من علماء اليمن، ولي قضاء صنعاء، وله مؤلفات كثيرة منها:"فتح القدير" و"نيل الأوطار"، توفي سنة 1834م.

4 - الشوكاني، محمد علي محمد: نيل الأوطار، ج3، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1421هـ/2000، ص145.

5 - إمام المذهب الحنبلي، درس على الشافعي، وقف في وجه المأمون والمعتصم والمعتزلة في قول خلق القرآن، وله مصنفات عديدة من أشهرها " المسند"، توفي سنة 241هـ.

6 - ابن قدامة، عبدالله بن أحمد المقدسي: المغني والشرح الكبير، ج2، ص120.

جسمه وكبر سنه[1].

عن مالك بن الحويرث الليثي[2] أنّه رأى النبي ρ يصلي، فإذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوي قاعدا [3].

فهذه بعض التخفيفات الواردة في صلاة المسن الضعيف، والتي ما شرعت إلا مراعاة لحاله، وتيسيرا له رحمة من الله تعالى له وتخفيفا عليه.

المطلب الثاني: صوم كبير السن

تقول القاعدة الفقهية بأنّ المشقة تجلب التيسير، وهذه القاعدة إنّما هي ترجمة لآيات التيسير التي وردت، كقوله تعالى: **(لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...)** [4] وقوله: **(... وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...)** [5]، وقوله:**(.. يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ..)** [6] استنبط الفقهاء من هذه الآية جواز الفطر للشيخ المسن الكبير إذا وجد مشقة في صومه، أو يتأثر بدنه وتتأثر قوته به، ما يترتب عليه هلاكا أو أذا شديدا[7].

ورد عن ابن عباس في قوله تعالى:**(.. وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ..)** [8]، أنّه قال: هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان

---

1 - الزركشي، شمس الدين محمد بن عبدالله: شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج1، دار أولي النهى، د.م، د.ط، 1414هـ، ص577. ابن تيمية، أحمد الحراني: مجموعة الفتاوى، ج22، تخريج: عامر الجزار وزميله، دار ابن حزم، د.م، ط1، 1418هـ/ 1997م ، ص263. الشوكاني: نيل الأوطار، ج2، ص625.

2 - صحابي جليل، قدم على النبي ρ في شباب من قومه فعلمهم الصلاة، توفي بالبصرة سنة 94هـ.

3 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأذان، باب من استوى قاعدا في وتر من صلاته ثمّ نهض، حديث رقم823، ص65.

4 - سورة البقرة، آية: 286.

5 - سورة الحج، آية: 78.

6 - سورة البقرة، آية: 185.

7 - ابن الهمام، محمد بن عبدالواحد: شرح فتح القدير، ج2، دار الفكر، بيروت، ط2، د.ت، ص356. الرملي، شمس الدين محمد: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج3، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الأخيرة، 1386هـ/1967م، ص193. ابن الحطاب، محمد عبدالرحمن: مواهب الجليل شرح مختصر الخليل، ج2، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ/1978م، ص414. ابن حزم، علي بن محمد: مراتب الإجماع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص40.

8 - سورة البقرة، آية: 184.

مكان كل يوم مسكينا[1]، كما فعل ذلك أنس بن مالك لما كبر وضعف. عن حميد[2] قال: ضعف أنس عن الصوم عام توفي، فسألت ابنه عمر بن أنس، أطاق الصوم ؟ قال: لا، فلما عرف أنّه لا يطيق القضاء أمر بجفاف من خبز ولحم فأطعم العدة أو أكثر[3].

وخلاصة الأمر " أنّ الشيخ الفاني الطاعن في السن قد ضعفت قواه، وفنيت بحيث يجهده الصوم، ويشق عليه مشقة شديدة، مع العلم أنّ الشيخ المسن ليس به مانع ولا مرض إلا أنّ ذلك الضعف يطرأ عليه عند الصوم، فيباح له الفطر لأجل رفع الحرج عنه "[4].

المطلب الثالث: حج كبير السن

أوصى الإسلام المسلمين وخصوصا القادرين منهم بالحج، والمبادرة إلى أدائها حال الاستطاعة، وقبل الضعف والشيب والعجز، إلا أنّه – وهو دين رحمة ويسر - قد وضع الحرج عن الضعفاء في أغلب تشريعاته، والتي منها الحج، وقد اجتزأنا بعض تلك التخفيفات في الآتي:

1- الإنابة في الحج:

عن عبدالله بن عباس ψ أنّ امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إنّ فريضة الله على عباده في الحج، أدركتْ أبي شيخا كبيرا لا يثبت على راحلة، أفأحج عنه ؟ قال: (نعم)[5].

---

[1] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب التفسير، باب 25، حديث رقم 4505، ص469.

[2] - حميد بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني، من كبار التابعين، توفي سنة 105هـ.

[3] - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري، ج8، تحقيق: عبدالعزيز بن باز، دار السلام، الرياض، ط1، 1418هـ/ 1997م، ص226.

[4] - القصّار، عبدالعزيز خليفة: صوم الشيوخ المسنين، دار بن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ/ 1999م، ص20.

[5] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، حديث رقم1513، ص120.

وعن عبدالله بن الزبير[1] ψ قال: جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ρ فقال: إنّ أبي شيخ كبير لا يستطيع الركوب، وأدركته فريضة الله في الحج، فهل يجزئ أن أحج عنه ؟ قال: (أنت أكبر ولده ؟) قال: نعم. قال: (أرأيت لو كان عليه دين أكنت تقضيه ؟) قال، نعم. قال: (فحج عنه)[2].

وعن أبي رزين العقيلي[3] أنّه أتى النبي ρ فقال: إنّ أبي شيخ كبير لا يستيطع الحج ولا العمرة ولا الظعن، قال: (حج عن أبيك واعتمر)[4].

ذهب جمهور العلماء إلى جواز الإنابة في الحج حال الضعف والمرض والشيخوخة، بل قالوا " بوجوب الحج على من وجبت فيه شروط وجوب الحج، وكان عاجزا لمانع ميئوس من زواله، كزمانة أو مرض لا يرجى زواله ونحو ذلك، وقالوا إنّ الحج وإن كان عبادة مركبة من أعمال بدنية وأعمال مالية، إلا أنّه غلب فيه جانب المالية، فجاز دخول النيابة فيه، واستدلوا على هذا بحديث الخثعمية وغيره "[5].

وأمّا المالكية فقد ذهبوا إلى عدم جواز النيابة في الحج، وذلك لأنّ الحج عبادة بدنية ومالية، وقد غلب فيه الجانب البدني، فلا تقبل فيه النيابة سواء كان مريضا أو صحيحا[6].

2- <u>التقدم من المزدلفة للرمي والطواف ليلا:</u>

أذن النبي ρ لأصحاب الأعذار ومنهم كبار السن التقدم ليلا لرمي الجمرة الكبرى قبل وصول الناس بعد صلاة الفجر أو قبلها، فعن عائشة أم المؤمنين ψ

---

[1] - القرشي الأسدي، فارس قريش في زمنه، أول مولود يولد للمسلمين في المدينة بعد الهجرة، بويع له بالخلافة سنة 64هـ، دامت خلافته تسع سنوات، دارت بينه وبين الحجاج حروب انتهت بمقتله سنة 73هـ.

[2] - النسائي: سنن النسائي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب المناسك، باب حج المرأة عن الرجل، حديث رقم2639، ص2259.

[3] - لم أجد له ترجمة.

[4] - الشيباني: المسند، م.س، حديث رقم16285، ص1149.

[5] - ميقا، أبوبكر إسماعيل محمد: أحكام المريض في الفقه الإسلامي، د.د، المملكة العربية السعودية، ط3، 1401هـ/ 1981، ص136. ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج3، ص177-180. ابن حجر، أحمد بن علي: سبل السلام بشرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1422هـ/ 2002 ، ص378.

[6] - الباجي، سليمان بن خلف: المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، ج2، مطبعة السعادة، بيروت، ط1، 1331هـ، ص168-271. القرافي، أحمد بن إدريس: الذخيرة، ج3، تحقيق: محمد أبوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م، ص193-199.

أنّ رسول الله ρ أمر إحدى نسائه أن تنفر من جمع ليلة جمعة فتأتي جمرة العقبة فترميها وتصبح في منزلها. وكان عطاء يفعله حتى مات‹1›.

وعن بن عباس ψ : أنّ النبي ρ قدّم أهله وأمرهم أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس‹2›.

ووجه الاستدلال هنا إن كانت إجازة النبي ρ للنساء والصبيان بالتقدم ورمي الجمرة ليلا، فكبير السن والعجزة أولى لهم، إذ إنّ العلة الموجودة في هؤلاء موجودة فيهم، وهي خوف التأذي من الزحام، ورفقا بهم وبحالهم.

3- <u>النيابة في الرمي عن كبير السن</u>:

من التخفيفات التي وردت أيضا في الحج بالنّسبة لكبير السن، مباشرة الرمي نيابة عنه، فقد قال الإمام النووي‹3› رحمه الله تعالى: " قال الشافعي‹4› والأصحاب رحمهم الله: العاجز عن الرمي بنفسه لمرض أو حبس ونحوهما يستنيب من يرمي عنه، سواء كان المرض مرجو الزوال أو غيره..." ‹5›.

وجاء في المبسوط: "والمريض الذي لا يستيطع رمي الجمار يوضع الحصى في كفه حتى يرمي به، لأنّه فيما يعجز عنه يستعين بغيره، وإن رُمي عنه أجزأه" ‹6›. وكما جاء في الشرح الكبير: " أنّ من كان مريضا أو محبوسا أو له عذر جاز أن يستنيب من يرمي عنه، قال الأثرم: قلت لأبي عبدالله: إذا رُمي عنه الجمار يشهد هو ذاك أم يكون في رحله ؟ قال: يعجبني أن يشهد ذاك إن قدر حين

---

1 - النسائي: سنن النسائي، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب المناسك، باب الرخصة في رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس للنساء، حديث رقم3068، ص2284.

2 - المصدر نفسه، كتاب المناسك، باب النهي عن رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس، حديث رقم3067، ص2284.

3 - يحيى بن شرف، فخر المذهب الشافعي، محدث وإمام، له مصنفات كثيرة منها "شرح صحيح مسلم" و"رياض الصالحين" وغيرها، توفي سنة 676هـ.

4 - إمام المذهب الشافعي، درس على الإمام مالك، له مصنفات عديدة منها "الأم" و"الرسالة"، توفي في مصر سنة 204هـ.

5 - النووي، يحيى بن شرف: المجموع، ج8، مطبعة الإمام، مصر، د.ط، د.ت، ص184.

6 - السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل: المبسوط، ج4، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1324هـ، ص 69.

يُرمى عنه، قلت: فإن ضعف عن ذلك يكون في رحله ويبعث من يرمي عنه ؟ قال نعم‹1›.

4- <u>طوافه وسعيه راكبا أو محمولا:</u>

ومن التخفيفات أيضا جواز أن يطوف كبير السن حول الكعبة، وأن يسعى بين الصفا والمروة راكبا أو محمولا ‹2› وذلك لحديث أم سلمة‹3› زوج النبي ρ قالت: شكوت إلى رسول الله ρ أنّي أشتكي، فقال: (طوفي من وراء الناس وأنت راكبة) فطفت ورسول الله ρ حينئذ يصلي الصبح إلى جنب البيت وهو يقرأ (**وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ**) ‹4›، عن الأحوص قال: رأيت أنسا يطوف بين الصفا والمروة على حمار‹5›.

قال الإمام الشافعي رحمه الله :" وأكثر ما طاف رسول الله ρ بالبيت والصفا والمروة لنسكه ماشيا، فأحبّ إلى أن يطوف الرجل بالبيت والصفا والمروة ماشيا إلا من علة، وإن طاف راكبا من غير علة فلا إعادة عليه ولا فدية " ‹6›.

<u>المطلب الرابع</u>: <u>جهاد كبير السن</u>

قال الله تبارك وتعالى: (**لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) ‹7›.

---

1 - المقدسي، شمس الدين عبدالرحمن بن أبي عمر: الشرح الكبير، ج3، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأوفست، 1392هـ/ 1972م، ص481.

2 - العسقلاني: فتح الباري، ج3، ص510. الشوكاني: نيل الأوطار، ج5، ص52. النووي، يحيى بن شرف: شرح صحيح مسلم، ج9، مراجعة: خليل الميس، دار القلم، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ص22.

3 - هند بنت أبي أميّة بن المغيرة بن مخزوم، زوجة النبي ρ ، وهي آخر من ماتت من زوجات النبي ρ فقد توفيت سنة 59هـ.

4 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الحج، باب طواف النساء مع الرجال، حديث رقم1619، ص127.

5 - ابن أبي شيبة، أبوبكر: المصنف، ج3، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/ 1995م، حديث رقم 13143، ص166.

6 - الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ج2، إشراف: محمد زهيري النّجار، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1393هـ/ 1973م، ص173.

7 - سورة التوبة، آية: 91.

جاءت هذه الآية كي ترفع الحرج عن الضعفاء ومن في حكمهم من الشيوخ وكبار السن عن الجهاد بالنفس في سبيل الله تعالى.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية " بيّن تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد ... فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس، ولم يثبطوهم في حالهم هذا"[1].

وليس معنى هذا أنّه لا يثبت لهم أجر الجهاد إذا ما حبسهم العذر، يقول الإمام الشوكاني: " وإسقاط التكليف عن هؤلاء المعذورون لا يستلزم عدم ثبوت ثواب الغزو لهم الذي عذرهم الله عنه مع رغبتهم إليه، لولا حبسهم العذر عنه" [2].

يقول النبي ρ في الحديث الذي رواه أنس ψ: (إنّ بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا، إلا كانوا معكم)، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال: (وهم بالمدينة، حبسهم العذر)[3]. ويصدق عليهم هنا قوله ρ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب ψ (إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرء ما نوى ...)[4].

وإن سعى للجهاد ابتغاء إعلاء كلمة الله والشهادة فإنّه لا يُمنع منه، فقد أسند ابن إسحاق[5] عن أشياخ من بني سلمة قالوا: كان عمرو بن الجموح[6] ψ رجلا

---

1 - ابن كثير، إسماعيل عمر القرشي: تفسير القرآن العظيم، دار السلام، الرياض، ط1، 1421هـ/2000م، ص635. مرعي، مرعي عبدالله: أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عز وجل في الفقه الإسلامي، ج1، مكتبة العلوم والحكم، سوريا، ط1، 1423هـ/ 2003م، ص66-67.

2 - الشوكاني، محمد علي محمد: فتح القدير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م، ص726.

3 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب المغازي، باب 82، حديث رقم 4423، ص363. النيسابوري: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، حديث رقم4932، ص1019

4 - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ρ، حديث رقم 1، ص1.

5 - أبوبكر محمد، محدّث ومؤرخ من أصحاب السير والمغازي، له كتاب "السيرة النبوية"، توفي سنة 151هـ.

6 - صحابي جليل، صحب النبي ρ وكان أعرجا شديد العرج، استشهد في معركة أحد، قال عنه النبي ρ : " لقد رأيته يطأ بعرجته في الجنة".

أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ρ المشاهد. فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا: إنّ الله قد عذرك، فأتى رسول الله ρ وقال: إنّ بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة. فقال رسول الله ρ: (أمّا أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة). فخرج معه فقتل يوم أحد[1].

المطلب الخامس: لباس المرأة الكبيرة

قال الله تبارك وتعالى: (**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [2].

المراد بالقواعد في هذه الآية أي العجائز، ومفردها قاعد، وهنّ الاتي قعدن عن التزويج لكبر سنّهنّ، كما قال الله تعالى: (**اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا**)، وقد اختصهنّ الله سبحانه وتعالى بالتخفيف من الثياب (**فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ**) "أي الثياب التي يكون على ظاهر البدن كالجلباب ونحوه، لا الثياب التي على العورة الخاصة. وإنّما جاز لهنّ ذلك لانصراف الأنفس عنهنّ، إذ لا رغبة للرجال فيهنّ، فأباح الله سبحانه لهنّ مالم يبح لغيرهنّ " [3].

وقد ذكر الإمام ابن كثير[4] أسماء الكثير من الصحابة والتابعين الذين ذهبوا إلى أنّ المقصود بما تتخفف منه المرأة الكبيرة من اللباس إنّما هو الجلباب أو الرداء، فذكر منهم ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومجاهد[5] وسعيد بن جبير[6] وأبي الشعثاء[1] وإبراهيم النخعي[2] والحسن[3] وقتادة[4] والزهري[5]

---

[1] - الكاندهلوي: حياة الصحابة، ج2، ص288.

[2] - سورة النور، آية : 60 .

[3] - الشوكاني: فتح القدير، ص1239 .

[4] - اسماعيل بن عمر، مؤرخ ومفسر دمشقي، له مصنفات كثيرة أهمها "تفسير القرآن العظيم" و"البداية والنهاية"، توفي سنة 1372م.

[5] - مولى السائب بن أبي السائب، شيخ القراء والمفسرين، أخذ علمه عن ابن عباس وغيره، توفي سنة 101هـ.

[6] - من كبار أئمة التابعين وأكثرهم علما وعبادة وورعا، قتله الحجاج ظلما سنة سنة 95هـ.

والزهري[5] والأوزاعي[6] وغيرهم[7]. وقوله تعالى: (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) أي أن لا يردن بوضع الجلباب إظهار الزينة للرجال.

وخلاصة القول أنّ المرأة الكبيرة يجوز لها أن تتخفف من الجلباب الذي يلبس على الثياب تخفيفا لها ومراعاة لحال كبرها، على أن لا يكون مرادها من هذه الرخصة هو إظهار الزينة للرجال بأي شكل من الأشكال (وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

---

[1] - سليم بن أسود بن حنظلة المحاربي الكوفي، روى عن عمر وابن مسعود وحذيفة وغيرهم، توفي سنة 82هـ.

[2] - من كبار التابعين، كان فقيه العراق، اتصف بالورع والتقى والزهد والعبادة، توفي سنة 96هـ.

[3] - الحسن البصري، تابعي كان إمام أهل بصرة وحبر زمانه، وفي سنة 110هـ.

[4] - قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري، من أئمة التفسير والحديث، توفي سنة 117هـ.

[5] - محمد بن شهاب، تابعي من أهل المدينة، وأول من دون الحديث، توفي بالشام سنة 124هـ.

[6] - عبدالرحمن، من أئمة الفقه الإسلامي، ولد في بعلبك، له مصنفات كثيرة منها " السنن والمسائل"، توفي سنة 157هـ.

[7] - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص971.

الفصل الرابع

مواقف من العقوق والرعاية

المبحث الأول: مواقف في العقوق.

المطلب الأول: مفهوم العقوق.

المطلب الثاني: مظاهر العقوق.

المبحث الثاني: مواقف في الرعاية.

المطلب الأول : إنشاء المؤسسات الاجتماعية.

المطلب الثاني : قصص في الرعاية.

الفصل الرابع

مواقف من العقوق والرعاية

يزخر التاريخ الإسلامي بالكثير من المواقف المشرقة في رعاية كبار السن والحفاظ على كرامتهم، والقيام على شئونهم، ماجعلتها في طليعة الحضارات التي أبرزت نفسها في هذه المواقف الإنسانية النبيلة.

وبمقابل ذلك فإنّ الحياة لا تخلو من أناس فقدوا إنسانياتهم وأخلاقهم وأصبحوا يعاملون كبار السن بمنتهى الذل الهوان، بل ويسعون للتخلص منهم بكل الوسائل.

من خلال هذا الفصل نلقي الضوء على الفئتين مستشهدين بالقصص الواقعيّة التي تدمي القلوب وتدمع العيون، وأخرى تدفع الشخص أن يقف مُكْبرا لبرّ وُجد في أناس قلّ نظيرهم وطابت معادنهم، من خلال الآتي:

المبحث الأول: مواقف فى العقوق

المطلب الأول: مفهوم العقوق ومظاهره

أولا: مفهم العقوق:

أصل كلمة العقوق هو عق بمعنى شق، يقال: عقّ ثوبه أي شقه. وهذا معنى عقوق الوالدين، فعق والديه يعقهما عقا وعقوقا، قال الشاعر:

إنّ البنين شرارهم أمثلة من عقّ والده وبرّ الأبعدا[1]

ثانيا: مظاهر العقوق:

يأخذ عقوق الوالدين وكبار السن مظاهر عديدة، وصورا شتى، نذكر بعضا منها مقتبسة من كتاب " حق لا ينسى"، وهي الآتية:

"المثال الأول: عدم الجلوس والمؤانسة والسؤال عن الحوائج وقضايا الأهل وما يعانونه .

[1] - الفراهيدي: كتاب العين، ص 659.

المثال الثاني: عدم استشارة الوالدين في الأمور التي يعرفونها والتي يمكن أن يقدّموا فيها رأيهم، فتجد الابن لا يشاور أحدا من والديه بحجّة أنّ ما يعاني من مشاكل وقضايا لا يدركها الوالدان.

المثال الثالث: الاعتذار عن تقديم الخدمة بأيّة وسيلة وعذر.

المثال الرابع: تقديم شغلك وحاجتك على حاجات الوالدين، فمثلا عندما يأمر أحد الوالدين الابن بأمر يقول الابن: اليوم أنا مرتبط أفعله غدا حينما أفرغ.

المثال الخامس: العُجب بالنّفس والنظر للوالدين بمنظار النّقص، ومثال ذلك كأن يكون الوالد غير محافظ على الصلاة مثل محافظة الابن عليها، فهو ينظر إلى الوالد بمنظار النقص لأنّه قد تفوّق عليه في هذه القضيّة فيستشعر صولة الطاعة حينئذ، ويستصغر شأن الوالد بذلك.

المثال السادس: استغلال مكان النقص عند الوالد أو الوالدة والاحتجاج بذلك على الخروج على أمرهما، والإنسان مأمور بالصّلة والبرّ والإحسان على أيّ خُلق كانا.

المثال السابع: الحوار معهما ومناقشتهما، بمعنى حوار النّدّ للنّدّ بالحجّة والدليل، وقياس المعاملة على القريب والزميل بنفس الأسلوب. إنّ الوالد ليس ندّا للولد، والولد ليس مطالبا بإقامة الحجّة على دعواه إلا إذا أمره بمعصية، والابن مطالب بأن يذلّ وأن يستسلم وأن يخفض جناحه له حتى لو لم تكن الحجّة معه.

المثال الثامن: اتخاذ الخصام ما بين الوالد والوالدة سببا للنّكاية بأحدهما ضدّ الآخر بالاتّهام ورديء الكلام والتأفف والعقوق.

المثال التاسع: الخروج من بيت الأب بعذر أو بدون عذر، بحجّة عدم التوافق، أو اذعانا لأمر الزوجة، وبحثا عن الاستقلالية في الأمر والنهي، وبعيدا عن ضغوط الوالدين ولزوم برّهما، والتهرّب من خدمتهما.

المثال العاشر: السّكوت أحيانا إذا سُئل الابن وانتظر منه الجواب، فقد يأتي خبر أو حالة تسرّ الابن أو لا تسرّه، ثم ربّما يسأل الوالد أو تسأل الوالدة فلا يقدّم الولد جوابا، وهذا من باب التجاهل وعدم العناية "[1].

إنّ عاقبة العقوق غير مؤجّلة إلى يوم القيمة فقط، لهذا ترى أنّ الذي يعق، يكون جزاؤه أن يعقه أبناؤه وهو في أشدّ أوقات الحاجة إليهم، ولكن هذا هو العدل الإلهي، وكما تدين تدان.

المطلب الثاني: قصص في العقوق

قد تكون الحياة صعبة، بل هي كذلك لأنّها مليئة بالمتاعب والمصاعب وتتوالى المشاكل فيها، ومهما كان حجم الصعاب التي تلاحق الإنسان وتؤثر عليه وعلى حياته سلبا، فلا يعني ذلك أن ينسى أصحاب الحق من الشيوخ وهم الآباء والأجداد.

إنّ آباءنا أساس وجودنا، ومهما كانت حياتنا صعبة فإنّهم يعيشون بالعقوق حياة أصعب.

لنعش حياتنا بشرف مصداقا لقول النبي ρ فيما رواه بن عمر ψ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) [2]، ولنحيى بضمير وشرف، وأيّ ضمير هذا الذي يسمح للإنسان أن يفكر مجرّد تفكير في التخلي عن أحد والديه ؟ وأي ذمّة وأيّ دين هذا الذي يسمح لابن آدم أن يرمي أباه خارج المنزل دون رعاية ؟ أيّ قلب هذا الذي طاوعه البدن على مدّ اليدين ورمي الوالدين أو طردهما، هذا ما سوف نقرأه من خلال بعض قصص العقوق التي تدمع العين وتقطع شرايين القلب، والتي ظهرت للوجود بسبب ضعف الوازع الديني والإنساني عند شرذمة من الناس الذين فقدوا إنسانيتهم.

1- **يعصي أمّه فيصاب في حادث مروري بالشلل**:

---

[1] - السلوم، عبدالله بن فهد وزميله: حق لا ينسى، دارالمسلم، الرياض، ط1، 1416هـ/1995م، ص28-32. (بتصرّف).

[2] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم 892، ص70.

يقول أحد الشباب وكان عمره 27 عاما وهو لا يستطيع الجلوس أبدا: قالت لي أمّي: أريدك أن تذهب بي إلى منزل أحد الأقرباء، فضجرتُ منها وتكلمتُ عليها، فقالت الأم: أرجوك يا بني أن تذهب بي إلى هؤلاء النّاس فلهم حقّ علي وأريد أن أزورهم، فقلت لها بشرط: أذهب بك هناك وسأعود بعد نصف ساعة بالتمام وأستعمل منبه السيارة لمرة واحدة، فإذا لم تخرجي فسأذهب وأدعك، فركبت الأم وذهبت إلى هؤلاء الأقارب معه. وبعد نصف ساعة جاء الابن واستعمل منبّه السيارة لمرة واحدة، فلمّا لم تخرج الأم تركها وذهب مسرعا بسيارته فتعرض إلى حادث مروري، وكانت النتيجة أنّه أصيب بشلل كلي لا يستطيع أن يجلس أبدا، بل يظل على ظهره أو بطنه ولا يستطيع أن يحرك أي عضو من جسمه إلا رأسه فقط ‹1›.

2- **الأم مرميّة في الحديقة:**

جاءت سيدة شابّة تترجى أن نأخذ أمّها عندنا وأبلغتنا أنّها لم تتخل عن العناية بها أو أنّها لا تريدها معها أبدا، بل لأنّ زوجها خيّرها بينه وبين أمّها وهدّدها بتطليقها ورميها في الشارع إن عاد إلى البيت ووجد أمّها فيه. وعندما ذهبنا معها لنأخذ الأمّ كانت مرميّة في حجرة من الخشب في الحديقة، لا أكل ولا شرب ولا غطاء ‹2›.

3- **خبّرونا عندما تموت فقط:**

امرأة كبيرة في السن أحضرها أحفادها وأبناؤها وهم يشكون صعوبة العناية بها، وعدم وجود أحد متفرغ لخدمتها، فوافقنا على ضمها للدار بشرط أن يواظبوا على زيارتها، وليس بالضرورة يوميّا ولكن كل أسبوع مرّة على الأقل. ثمّ بعد فترة قصيرة مرضت هذه المسنّة، وشعرنا أنّها ستودع الدنيا، وأبناؤها انقطعوا عن زيارتها منذ فترة طويلة، بدأنا بالاتصال بهم، وبذلنا محاولات حتى أقنعناهم بالحضور لأنّ أمّهم في سكرات الموت.

---

[1] - الحازمي، إبراهيم عبدالله: عاقبة عقوق الوالدين، دار الشريف، الرياض، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص104.

[2] - الشاعر، سوسن: " جحود الأبناء حكايات مأساوية من دار العجزة"، جريدة الأيام، البحرين، 1990/1/82م، ص12.

جاءوا بعد تذمّر وشكوى، ثمّ ألقوا عليها نظرة سريعة لم تستغرق ربع ساعة أو أقل, وبعدها حضروا لمكتبي وهم غاضبون، وقالوا لنا أنّنا أزعجناهم بدون داع، وطلبوا من موظفات الدار عدم الاتصال بهم إلا في حالة واحدة فقط، ألا وهي وفاة الأم حتى يتمكنوا من دفنها [1].

4- **أنت ومالك لأبيك**:

روي أنّ رجلا أتى النبي ρ فقال: يا رسول الله إنّ أبي ينقصني مالي وينفقه على عياله، فبكى الشيخ، وقال: أي عيال لي ؟ يا رسول الله والله ماهنّ إلا أمّه وأختاه.

وأنشأ يقول:

غذوتك مولودا وعلتك يافعا تُعل بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهرا أتململ
كأنّي أنا المطروق دونك بالذيطرقتَ به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنّني لأعلم أنّ الموت دين مؤجل
فلمّا بلغت السنّ والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمّل
جعلت جزائي غلظة وفضاضة كأنك أنت المنعم المتفضّل
وسميتني باسم المفنّد رأيه وفي رأيك التنفيد لو كنت تعقل
تراه معدا للخلاف كأنّه بردّ على أهل الصواب موكل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار ولم تكن علي بمال دون مالك تبخل

فرقّ له النبي ρ وقال لابنه: (أنت ومالك لأبيك) [2].

5- **فمدّ الولد يده على أبيه فضربه**:

كان هناك شابّ اسمه مُنازل وقد كان مكبّا على اللهو واللعب لا يفيق عنه، وكان له والد صاحب طاعة لله وكان كثيرا ما ينهى ولده عن أفعاله المشينة

[1] - الشاعر، سوسن: " جحود الأبناء حكايات مأساوية من دار العجزة"، ص12.
[2] - الطرطوشي، أبي بكر محمد بن الوليد القرشي: بر الوالدين، تحقيق: محمد عبدالحكيم القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، 1423هـ/2002م، ص108.

ويقول له: يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته، فإنّ لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيد. وكان الأب إذا ألحّ على ولده زاد الولد في العقوق وجار على أبيه، ولمّا كان يوما من الأيام ألحّ الوالد على ولده بالنّصح على عادته، فمدّ الولد يده على يد أبيه فضربه، فحلف الأب بالله ليأتينّ بيت الله عزوجل وليدعونّ على ولده وهو متعلق بأستار الكعبة، فخرج حتى انتهى إلى البيت الحرام فتعلق بأستار الكعبة وأنشأ يقول:

يامن إليه أتى الحُجّاج قد قطعوا عرض المهامة من قرب ومن بعد
إنّي أتيتك يا من لا يخيب من يدعوه مبتهلا بالواحد الصمد
هذا مُنازل لا ينفكّ عن عققي فخذ بحقي يا مولاي من ولدي
وشلّ منه بحول منك قوّته يا من تقدّس لم يولد ولم يلد

فما استتم كلامه حتى يبس شقّ ولده الأيمن جزاء له في الدنيا ولعذاب الآخرة أشقّ [1].

6- **العاقّ الذي سقط في البئر**:

روي أنّ ولد من عهد قريب، شاب من الطائشين الجاهلين بحقوق الوالدين، وكان الأب ينصحه بلين بالابتعاد عن أمر محرّم كان الأب قد لاحظه منه، ولكن الولد صاح بوجه أبيه رافضا النصيحة، ولما شعر الأب بأنّه مسئول عن تأديب ولده أمام الله عزّ وجل ... لذا فقد صرخ الأب في وجه ابنه بقسوة مؤنبا، مما حدى بالولد أن صرخ بوجه أبيه وشتمه قائلا: إنّك تتدخل فيما لا يعنيك ثمّ خرج، فغضب الأب على ابنه غضبا شديدا، ولكن الولد بعد أن خرج يلعب بالكرة إذ سقطت الكرة في بئر عميقة ذو رائحة كريهة كانت بجانب البيت وهي مليئة بالماء، فأراد الولد أن يلتقط كرته، فلحقها إلى أن وصل حافة البئر، فانحنى قليلا لالتقاطها، ولكنها زلت قدمه فوقع فجأة في البئر، فصار ينادي والده الذي كان يشتمه قبل قليل ... فهرع الأب الحنون مسرعا لمّا سمع الصوت، فوجد ابنه قد غرق ولقي مصرعه، فحمله ببطء بعد أن تجمع الناس حوله، ولكنه ما لبث أن سقطت من عينه دمعة حارّة وتلتها دموع غزيرة عندما قال للنّاس المجتمعين حوله: لقد أحببت ولدي، فأردت أن أنصحه لمستقبله فرفض، وشتمني، فمات [2].

---

[1] - السلوم: حق لا ينسى، ص66-67.

[2] - الحازمي: عاقبة عقوق الوالدين ، ص118.

7- **شاب يضرب والده**:

شوهد في أحد الشوارع شاب يافع في مقتبل العمر، أسمر اللون مفتول العضلات ومتين، وبيده عصا ثخينة، ينهال بها ضربا على رجل مسنّ تجاوز الستين من عمره، وهو نحيل الجسم صامت لا يشتكي من الضرب، فالتفت أناس حوله يريدون تخليصه، فقال أحدهم للشاب: لماذا تضرب هذا الشيبة المسكين ؟ أما تخشى الله ؟ فقال رجل ثان: ماذا عمل لك كي تضربه بهذه الشدة؟ ولكن الولد مازال يضرب ذلك الرجل ولم يلتفت إليهم، فقال له رجل ثالث: أما تخشى أن يضرب أحد الناس أباك مثل هذا الضرب ؟ ثم التفت إلى الناس وقال لهم: لا بد أن نشكوا هذا الشاب إلى أبيه عله يؤنّبه. من يعرف أبا هذا الشاب القاسي ؟ فتقدّم رجل تبدو عليه الهيبة والوقار وقال بهدوء: أنا أعرف هذا الفتى وأعرف أباه، إنّ الفتى يضرب أباه. هذا الرجل المسكين الذي يأكل الضرب هو أبوه بالذات، فدهش القوم واصفرّت وجوههم وبدت عليهم أمارات الحيرة والعجب، يا للغرابة كيف يضرب أباه بهذ الشدة ؟ وهجموا على الفتى وخلصوا الأب من ضرب ابنه، فقال لهم الأب وهو يلهث: دعوني لقد انتقم الله سبحانه وتعالى منّي، لقد ضربت مرة والدي عندما كنت شابا نفس الضرب، لأنّه طلب منّي بعض النقود ‹1›.

8- **المليونير وعقوق الأبناء**:

يوجد أب لابن وحيد وثلاث بنات، ونظرا لكونه من الأثرياء فقد أخذوا يستنزفون أمواله، وهو مقعد بلا حراك، وعندما طالبوه بالتوقيع على بعض الأوراق رفض فاتهموه بالهذيان، وأنّه يقوم بحركات شاذة، وادّعوا أنّ بقاءه بالمنزل خطر عليهم وعلى أطفالهم، فأحضره الابن الوحيد الذي يقيم معه إلى أحد المراكز الاجتماعية، وظل هناك ودموعه تنهمر ليل نهار بلا توقف، بينما اعتبرها الابن فرصة ذهبية ليتصرف كيفما شاء في ممتلكات أبيه التي تقدر بالملايين، وعندما اتصل المركز به كي يحضر ملابس جديدة لأبيه أجاب بعجرفة متناهية: لا أملك ريالا لأنفقه عليه، ولا تحاولوا الاتصال بي مرة أخرى، وإيّاكم حتى من مراسلتي بشأنه ‹2›.

9- **لم تسمع سوى أنّات**:

---

[1] - المرجع نفسه، ص130.

[2] - الحازمي: عاقبة عقوق الوالدين، ص139.

بعد ساعات قليلة من وصول رسالة الاستغاثة التي أرسلها جيران مسنّ عجوز لا يوجد من يرعاه منذ سنوات إلى دار بنك البحرين الوطني لرعاية المسنين، ذهبت الباحثة الاجتماعية التي تعمل بالبحث عن المسن الذي أكدت الرسالة أنّه في حالة يرثى لها.

وبعد جهد طويل وصلت السيارة إلى العنوان المذكور واكتشفت الباحثة أنّه مجرد غرفة صغيرة جدا في خان يسكنه عمال، طرقت على الباب عدة مرّات فلم تستمع إلا لأنّات خافتة، وعندما استجمعت شجاعتها ودفعت الباب دفعة صغيرة فوجئت بفأر كبير يفر هاربا من الغرفة المعتمة، وبعد ذلك توالت المفاجآت الحزينة[1].

11- عَققت وعُققت:

قال الأصمعي: "أخبرني بعض العرب أنّ رجلا كان في زمن عبدالله بن مروان، وكان له أب كبير، وكان الشاب عاقا بأبيه، وكان يقال للشاب مَنَازل، فقال الشيخ:

جزت رحم بيني وبين منازل جزاء كما يستنجز الدينَ طالبُه
تربّت حتى صار جعدا شمردلا إذا قام ساوى غاربَ الفحل غاربُه
تظلمني مالي كذا ولوى يدي لوى يدَه اللهُ الذي لا يغالبُه
وإنّي لداع دعوة لو دعوتها على جبل الريّان لانهدّ جانبُه

فبلغ ذلك أميرا كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال له الشيخ: أخرج من خلف البيت، فسبق رُسُلَ الأمير، ثم ابتلى الفتى بابن عقه في آخر حياته، فقال:

تظلمني مالي خليجٌ وعقني على حين كانت كالحنيّ عظامي
تخيّرته وازددته ليزيدني وما بعض ما يزداد غير عرام[2].

المبحث الثانى: مواقف فى الرعاية

[1] - الجذور: "في دار بنك البحرين الوطني"، اللجنة الوطنية للمسنين، شعبان 1424هـ/أكتوبر 2003م، ص18.

[2] - ابن قتيبة: كتاب عيون الأخبار، ج3، ص89.

بعد أن قرأنا بعض قصص العقوق وما آلت إليه أحوال العاقين، يجدر بنا أن نلقي نظرة على مواقف نادرة من أناس كرُمت سجاياهم، وعظمت أخلاقهم، فاتخذوا من البرّ والصلة وسيلة للتقرب إلى المولى تعالى، وعملا بأوامره، وتطبيقا لإنسانية الإنسان الفطرية تجاه الوالدين وكبار السنّ.

وخرج من بين هذه المعادن أناس قدّمت للوالدين وكبار السّن خدمات اجتماعية كبيرة وذلك من خلال إقامة مؤسسات تخدم هذه الفئة خدمة إيوائية تعليمية تربوية كانت محل ثناء الناس عامة.

المطلب الأول: إنشاء المؤسسات الاجتماعية

إنّ فكرة إنشاء مؤسسات تخدم كبار السن كانت منتشرة عبر الصفحات المشرقة من التاريخ الإسلامي الحافل بالمآثر وهي ما كانت تعرف بالرباطات، ومن تلك رباط الأندلس التي كانت موجودة في القاهرة " وقد أنشأتها السيدة علم الآمرية أم ابنة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمرالله سنة 516هـ/1122م بجوار مسجدها لإقامة العجائز والأرامل والمنقطعات، وكان لهذه السيدة صدقات كثيرة، وكانت تبعث إلى الأشراف بصلات جزيلة، وترسل إلى من أخنى عليهم الدهر من أرباب البيوت والمستورين بأموال كثيرة [1].

وقد جعل إسماعيل بك رفعت أعطيات كثيرة في وقفيته التي أنشأها بالقاهرة عام 867هـ/1284م " للنّسوة العجائز الفقيرات والعاجزات عن الكسب الخاليات من الأزواج الائي يقمن في الرباط الذي أنشأه بباب الخلق بالقاهرة"[2].

وهناك دُور وأوقاف كثيرة أوقفت للمسنين في فاس ومكناس ومرّاكش وبيت المقدس وغيرها، حتى أن بعض أهل الخير كان يجري عطاءه على المسنين، منه ماهو راتب شهري وآخر راتب سنوي[3].

---

[1] - الغزالي، محمد: تراثنا الفقهي في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، ط1، 1411هـ/1991م، ص166.

[2] - البلوي، سلامة محمد الهرفي: رعاية الفئات الخاصة، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 1424هـ/2003م، ص22.

[3] - المرجع نفسه، 45-46. (بتصرف).

المطلب الثاني: قصص في الرعاية

وقبل أن نسرد القصص يجدر بنا أن ننقل أمورا تعتبر من البرّ والصّلة ننقلها من كتاب " حق لا ينسى" يقول مؤلف الكتاب: " من البر لين الكلام وبشاشة الوجه وتقبيل الرأس والدعاء لهما سرا وجهارا وهما يسمعان، وإدخال السرور عليها بالذي يفرح، وذكر الجميل والحق الذي لهما وهما يسمعان، وأخبرهما أنّك لا تستطيع أن تؤدي حقوقهما، وقدّم لهما الهدّية ولو كانا غنيّين عنك، وأظهر العناية أثناء كلامهما، وركز الذهن والنظر إليهما بأدب واخفض الجناح، وتحامل على نفسك بلزوم الصمت والأدب إذا اشتدا أو غضبا، وألزم ذلك بحضرة الناس مع الوالد، ولا تسمح للوالد أبدا أن يقدّم لك خدمة، وأن يقوم ويقعد وأنت جالس، وأرض من يحبّان من الأقارب وغيرهم، وانصح لهم وحذرهم من معصية الله عزوجل مع إظهار الشفقة والمحبّة وتذكيرهما مغبة المعصية بأي وسيلة"[1]. هذا السلوك وغيره سنراه من خلال القصص الآتية:

1- أنت هو لعمري:

كان أبوبكر[2] τ يتردد على امرأة عجوز عمياء، وهو خليفة، يقدّم لها الطعام والشراب، ويخدمها بما تحتاجه من عمل، وحتى لا يراه الناس، ويكون العمل خالصا لله كان يأتيها ليلا، وكان عمر[3] يتردد عليها ليخدمها فيجد من سبقه إليها، والمرأة لا تعرف أبابكر أو عمر، وتكرر الحادث مرارا، كلما جاء عمر وجد من سبقه بالأجر، فقرر أن يكمن في الظلام ليرصد هذا الرجل فيعرفه، واختبأ عمر، وجاء الرجل السبّاق للخيرات ليخدم

[1] - السلوم: حق لا ينسى، ص45-46.

[2] - عبدالله بن قحافة، صاحب رسول الله، وأول من آمن به من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، له مواقف كثيرة في الإسلام، افتتحت في عهده الكثير من البلاد، وقاتل المرتدين ومانعي الزكاة، توفي بالمدينة سنة 13هـ.

[3] - ثاني الخلفاء الراشدين، كان إسلامه فتحا وهجرته نصرا للمسلمين، فتحت في عهده فتوحات عظيمة، استشهد غيلة في المدينة وهو يصلي الصبح سنة 23هـ.

المرأة العمياء العجوز، فإذا به يصطدم بأبي بكر وجها لوجه في هذه الساعة، قال عمر ماكان يتوقعه: أنت هو لعمري[1].

2- كان لا يمشي فوق ظهر البيت وأمّه تحته:

كان طلق بن حبيب من العبّاد، وكان يقبّل رأس أمّه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالا لها[2].

3- سخّن الماء بنور المصباح لأبيه:

قال المأمون[3]: لم أر أحدا أبرّ من الفضل بن يحيى[4] بأبيه، بلغ من برّه به أنّ يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخّن، وهما في السّجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخّن فيه الماء، فملأه، ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح[5].

4- أخاف أن تسبق عينها يدي وأكون قد عققتها:

كان زين العابدين[6] τ كثير البرّ بأمّه، حتى قيل له: إنّك أبرّ الناس بأمّك ولسنا نراك تأكل معها في صحفة ؟ فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها[7].

---

1 - شوحان، أحمد: سلسلة الأبطال، مكتبة التراث، د.م، ط2، 1982م، ص14.

2 - سليمان، محمد بن الوليد بن خلف: بر الوالدين، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م، ص38.

3 - من أعظم الخلفاء العباسيين، شهد عهده تطورا كبيرا في الحركة العلمية، وكذلك انتشر مذهب المعتزلة والقول بخلق القرآن.

4 - وزير وأديب عباسي عاصر عهد الرشيد.

5 - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج3، ص102.

6 - هو علي بن الحسين، حفيد على بن أبي طالب، وإمام من الأئمة الأعلام، ويعتبره الشيعة إمامهم الرابع، توفي بالمدينة سنة 95هـ.

7 - الشكعة، مصطفى: الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، ص88.

5- سألتني أمّي ولو سألتني أكثر من ذلك فعلت:

بلغت النّخلة في عهد ابن سيرين[1] ألف درهم، فنقر نخلة من جمّارها. فقيل: عقرت نخلة تبلغ كذا وكذا وجمّارها بدرهمين ؟ قال: سألتني أمّي، ولو سألتني أكثر من ذلك فعلت[2].

6- لم يشربه وأرسله إلى أبيه:

كان الزبير بن هشام بارا بأبيه، إن كان ليرقى إلى السطح في الحرّ فيُؤتى بالماء البارد، فإذا ذاقه فوجد برده لم يشربه وأرسله إلى أبيه[3].

7- عسى يصادف نظري نظرك فيبرد غليلي:

قال الفقيه أبو عبدالله بن مسلم الأصولي: " لما عزمت على السفر إلى اليمن كان من وصايا أمّي لي أن قالت لي: أعاهدك الله أنّك في كل ليلة يستوي فيها القمر في وسط السماء تقصد إليه بالنّظر، فإنّي أنظر إليه في تلك الحالة شوقا إليك، فعسى يصادف نظري نظرك فيبرد غليلي. قال: فوفيت لها بذلك فكنت أفعله" [4].

8- **علا صوته صوتها فأعتق رقبتين:**

نادت أم عبدالله بن عون ابنها عبدالله فأجابها فعلا صوته صوتها فأعتق رقبتين[5].

9- ما مشى معي نهارا إلا خلفي:

---

[1] - أبوبكر محمد، فقيه من أهل البصرة، اشتهر بتفسير الأحلام، توفي سنة 110هـ.

[2] - ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج: البر والصلة، تحقيق: عادل عبدالموجود وزميله، مكتبة العلا، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1424هـ/1003م، ص84.

[3] - مكتبي: صفحات رائدة في مسيرة العدالة، ص86.

[4] - الطرطوشي: بر الوالدين، ص79.

[5] - ابن الجوزي: البر والصلة، ص89.

عن عمر بن ذر أنّه لمّا مات ابنه قيل له: كيف كان برّه ؟ قال: ما مشى معي نهارا قط إلا كان خلفي، ولا ليلا إلا كان أمامي، ولا رقى سطح أنا تحته ‹1›.

10- قل لها عنّي أن الجواب كذا:

حلفت أم أبي حنيفة‹2› بيمين فقالت له: سل القاصّ. وكان خالي أبو طالب يقصّ، وكانت أمّ أبي حنيفة تحضر مجلسه، فدعاه أبو حنيفة وسأله، وقال: إنّ أمّي حلفت عليّ يمين، وأمرتني أن أسألك، فكرهت خلافها. فقال له أبو طالب: فأفتني بالجواب. فقال: الجواب كذا. قال: قل لها عنّي أنّ الجواب كذا وكذا. قال: فأخبرها، فرضيت بقول القاصّ ‹3›.

11- كان يبعث إليّ بحلبة الغداة:

عن سعيد بن هشام قال: " كانت حفصة ترحم على الهذيل وتقول: كان يعمد إلى القصب فيقشّره ويجفّفه في الصيف، فإذا كان الشتاء جاء حتى يقعد خلفي وأنا أصلي، فيوقد وقودا رفيقا ينالني حرّه ولا يؤذيني دُخانه، وكنتُ ألتفتُ من الصلاة فأقول: يابني الليل إذهب إلى أهلك، فيقول: يا أمّاه. فأعلم ما يريد فأتركه فلا يزال كذلك حتى يمضي من الليل، فأقول: يا بني ألحق بأهلك، فيقول: دعيني، فأعرف ما يريد، فأدعه فربمّا كان ذلك حتى يصبح، وكان يبعث إليّ بحلبة الغداة، فأقول: يابني تعلم أنّي لا أشرب نهارا، فيقول: إنّ أطيب اللبن ما بات في الضّرع فلا أحبّ أن أوثر غيرك، فابعثي به إلى من أحببت ... ‹4›.

12- يابني نوّر الله لك طريقك:

رُوي أنّ رجلا أمريكيا بلغ السبعين من العمر كان قد دخل الإسلام، وكانت له أمّ هو بها بارّ، وكان يقطع في كل أسبوع بسيارته الصغيرة مسافة 700 كم لزيارتها، حيث كان يقطن في ولاية وأمّه تقطن في ولاية أخرى.

---

[1] - المصدر نفسه، ص89.

[2] - النعمان بن ثابت، إمام المذهب الحنفي، أحمد الأئمة المجتهدين الأربعة، استدعاه المنصور لتولي القضاء فأبى، فحبسه حتى مات سنة 150هـ.

[3] - مكتبي: صفحات رائدة في مسيرة العدالة، 330.

[4] - ابن الجوزي: البر والصلة، ص87.

فسأله بعض الناس: لماذا تجشم نفسك عناء السفر إلى أمّك قاطعا تلك المسافة الطويلة وهي على خلاف دينك ؟ فأجاب السائل قائلا: إنّ الله أكرمني بالإسلام ببركة دعائها، حيث كانت تدعو لي قبل إسلامي كلمّا زرتها، وتفقدت حالها بالدعوة الآتية: يا بني نوّر الله لك طريقك. فأكرمني الله تعالى بالإسلام، فحقها عليّ ألا أقطعها ما حييت [1].

13- ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم:

مرّ عمر بن الخطاب τ بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسنّ، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فدفع له بشيء من منزله، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: أنظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، **(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ...)** [2]، والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[3].

14- لا زلنا مبكرين:

حكي أنّه كان في بلدٍ ولدٌ له والدة ووالده متوفى وهي لا تزال في ربيع الشباب، فتزوج الولد، بزوجة حسناء وتحابا وتآلفا مما جعل الأم تشعر بشيء من الغيرة، وتجسّد هذا الشعور حتى بأن صارت الأمّ تنغّص عليهما عيشهما من جرّاء نصائحها المتوالية اللازمة وغير اللازمة، وكان الولد بارّا بأمّه كثيرا والأمّ لا تزال في عنادها، ومنع الزوجة من التجميل والتزيين مع توبيخها كل آونة وأخرى، ففكر الولد بحل للمشكلة لأنّ توبيخ أمّه وصل إليه إذ كانت توقظه صباحا باكرا والبرد شديد كي يذهب إلى المسجد ليؤدي صلاة الصبح مع الجماعة قبل الأذان، فصار الولد يبحث عن رجل كفء لوالدته، فوجد رجلا صالحا، فسلم عليه وقال له: توجد امرأة حسناء وفراش وثير وبيت جميل مفتوح

---

[1] - مكتبي: صفحات رائدة في مسيرة العدالة، ص335.

[2] - سورة التوبة، آية: 60.

[3] - أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: كتاب الخراج، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1990م، ص255.

ومهر مدفوع وفتى لك بارّ فهل لك رغبة ؟ وكان الرجل منقطعا ليس له زوجة وكأنّ الرجل يحلم بمثل هذا الأمر منذ بلوغه.

فقال للغلام بفرح كبير: أيقظة هذه أم منام ؟ قال الغلام يقظة يا عم، فقال الرجل: أين الزوجة ؟ وأين الغلام ؟ ... فقال الغلام: أنا ذلك الفتى والزوجة أمّي، فإن شئت فقم على راحتك في بيتي المتوفر فيه شروط الراحة، فبكى الرجل المسكين من شدة الفرح.

ثمّ دعا القاضي والأقارب وهيّأ وليمة، وعقد القاضي، ودخل الرجل في تلك الليلة على الأمّ، وفي الصباح الباكر طرق الغلام الباب فخرجت الأمّ متثائبة، وفتحت الباب بهدوء وقالت هامسة بصوت خافت **لا زلنا مبكرين** لا تخجلني مع عمّك فتقلق راحته، ولكن الولد قال مازحا: يجب أن تستيقظا، فعرفت الأمّ خطأها عندما كانت توقظه هو وزوجته في مثل هذا الوقت [1].

15- **كان يفلي رأس أمّه**:

حارثة بن النعمان τ يفلي رأس أمّه ويطعمها بيده، ولم يستفهمها كلاما قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن تخرج: ما أرادت أمّي ؟ [2].

16- **كنتُ أحلب الناقة فيعرف حلبي**:

لمّا وجّه عمر بن الخطاب τ الجيش إلى اليرموك قام إليه أميّة بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين هذا يوم من أيّامي لولا كبر سنّي. فقام إليه ابنه كلاب[3]، وكان عابدا زاهدا فقال: لكنّي يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي. فتعلق به أبيه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمّك شيخين ضعيفين ربّياك صغيرا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما. فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي. فخرج غازيا بعد أن أرضى أباه. فأبطأ، وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها.

فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز يبكي فبكت، وأنشأ يقول:

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن ذكر الكتابا

---

[1] - الحازمي: فضل برّ الوالدين، ص59-60.

[2] - ابن الجوزي: بر الوالدين، ص52.

[3] - كان من خيار الصحابة، وقد قتل مع الإمام علي في معركة صفين.

أناديه ويعرض لي حنين فلا وأبي كلاب ما أصابا
تركت أباك مرعشة يداه وأمّك ما تسيغ لها شرابا
فإنّ أباك حين تركت شيخ يطارد أينقا شربا جذابا
إذا رتعن إرقالا سراعا أثرن بكل رابية ترابا
طويلا شوقه يبكيك فردا على حزن ولا يرجو الإيابا
إذا غنت حمامة ببطن وجّ على بيضاتها ذكرا كلابا

فبلغت هذه الأبيات عمر بن الخطاب τ فأرسل إلى كلاب فوافاه فقال: إنّه بلغني أنّ أباك وجد لفراقك وجدا شديدا فبماذا كنت تبرّه ؟ قال: كنت أبرّه بكل شي حتى أنّي كنتُ أحلبُ له ناقة فإذا حلبتها عرف حلبي. فأرسل عمر τ إلى الناقة فجيء بها من حيث لا يعلم الشيخ فقال له: أحلبها. فقام إليها وغسل ضرعها ثم حلبها في إناء. فأرسل عمر τ بالإناء إلى أبيه فلما أتى به بكى ثمّ قال: إنّي أجد في هذا اللبن ريح كلاب. فقال له نسوة كنّ عنده: قد كبرت وخرفت وذهب عقلك، كلاب بظهر الكوفة وأنت تزعم أنّك تجد ريحه، فأنشأ يقول:

أعاذل قد عذلت بغير علم وهل تدري العواذل ما ألاقي
سأستعدي على الفاروق ربّا له حج الحجيج على اتساق
إن الفاروق لم يردد كلابا إلى شيخين ما لهما تواقي

فقال له عمر: اذهب إلى أبيك فقد وضعنا عنك الغزو وأجرينا لك العطاء[1].

17- **كنت أتمرغ في رياض الجنّة**:

كان رجل من النسّاك يقبل كل يوم قدم أمّه، فأبطأ يوما على إخوته فسألوه، فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنّة، فقد بلغنا أنّ الجنّة تحت أقدام الأمهات[2].

---

[1] - الحازمي، إبراهيم عبدالله: فضل برّ الوالدين، دار الشريف، الرياض، ط2، 1424هـ/ 2003م، ص48-50.

[2] - الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: المستطرف في كل فنّ مستظرف، تحقيق: مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1421هـ/2000م، ص331.

18- **أخذ بخطام لجامه**:

كان أبو عبدالله أحمد بن حنبل‹1› من أشد الناس إعظاما لإخوانه ومن هو أسنّ منه، لقد جاءه أبو همّام راكبا على حمار، فأخذ له أبو عبدالله بالركاب‹2›.

19- **من ليس لها خير في والديها ليس لها خير في زوجها**:

عاشت أم حسّان تجربة على مدى عشرين عاما مع والدتها المشلولة وأبيها المقعد، وعندما تزوجت اشترطت على زوجها أن يكون والديها هما الأولى برعايتها، فردّ عليها قائلا: " من ليس لها خير في والديها لا خير لها في زوجها" ‹3›.

20- **لو أقسم على الله لأبرّه**:

عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر‹4› ؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر ؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن ؟ قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال: نعم، قال: لك والدة ؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ρ يقول: (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبرّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل) فاستغفر لي، فاستغفر له‹5›.

21- **خفت أن تجيء إلى أمّي فتلدغها**:

---

1 - إمام الذهب الحنبلي وأحد الأئمة المجتهدين الأربعة، وقف في وجه المأمون والمعتزلة في مسألة خلق القرآن، من أهم مؤلفاته " المسند" توفي سنة 241هـ.

2 - أيّوب، حسن: السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، د.ط، 1417هـ/1996م، ص307.

3 - الجذور، " في دار المنار"، ص30.

4 - من أجل التابعين، وهو من أمداد اليمن، سأله عمر بن الخطاب أن يدعو له لثناء النبي ρ عليه.

5 - النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، م.س، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أويس القرني، حديث رقم 6492، ص1123.

رأى كهمس بن الحسن عقربا في البيت فأراد أن يقتلها، أو يأخذها، فسبقته، فدخلت في جحر، فأدخل يده في الجحر ليأخذها، فجعلت تضرّ به، فقيل له ما أردت إلى هذا ؟ قال: خفت أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمّي فتلدغها ‹1›.

22- **صبغ لها ثيابها**:

كانت والدة محمد بن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصّبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبا اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثيابا، وما رأيته رافعا صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي‹2›.

23- **قومي ضعي قدمك على خدّي**:

عن محمد بن المنكدر أنّه كان يضع خدّه على الأرض، ثم يقول لأمّه: قومي ضعي قدمك على خدّي‹3›.

24- **سبقتني بهذه**:

حُكي أنّ ولداً فعل مع أبيه كل أنواع البر، والوالد يلاحظ ما يفعله الولد معاه وأنّ لم يزاد عليه بشيء من الأفعال التي فعلها هو مع أبيه من قبل. وهرم الأب، وبلغ تسعين عاما، والولد على برّه يزداد، وفي ذات يوم قائظ في صيف شديد الحرارة، قام الأب يريق الماء " أي يقضي حاجته"، ورأى الولد أنثيي والده وهي تلامس الأرض الشديدة الحرارة، فقام الولد بكل لطافة ولباقة محاولا ليحول بين أنثييه وبين الرمضاء لئلا يخجل، وأدخل يده من خلف، فلاحظ الوالد ذلك فقال له: سبقتني بهذه جميع أعمالك معي والتي كنت عملتها مع الدي من قبل‹4›.

هذه المواقف حريّ بنا أن نكتبها بماء الذهب، ونبين للعالم أجمع كيف بنى الإسلام هذا الحبّ والإخلاص وربّاه في نفوس أتباعه، ولتسجّل هذه المفخرة في صفحات المفاخر التي حازها الإسلام، وحازتها الأمة بالإسلام.

---

[1] - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج6، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1410هـ/1990م، ص317.

[2] - المصدر نفسه، ج6، ص619.

[3] - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج4، ص620.

[4] - الحازمي: فضل بر الوالدين، ص58. (بتصرف).

الفصل الخامس

حقوق المسن على المجتمع

المبحث الأول: حقوق ذوي الأرحام.

المطلب الأول: تعريف الرحم.
المطلب الثاني: وسائل صلة الرحم.
المطلب الثالث: فضل صلة الرحم وثوابها.
المطلب الرابع: جزاء قطيعة الرحم.

المبحث الثاني: حقوق الجار.

المطلب الأول: حقوق الجار.
المطلب الثاني: أنواع الجيران وحد الجيرة.
المطلب الثالث: جزاء من يؤذي جاره.

المبحث الثالث: حقوق الكبير.

المبحث الرابع: هل يحتاج المجتمع الإسلامي إلى دور الرعاية ؟

الفصل الخامس

حقوق المسن على المجتمع

أعطى الإسلام المسن الكثير من الحقوق، وأوجب له معاملة خاصة من قبل الآخرين، سواء كانوا من الأهل أم الجيران أم غيرهم، وتراثنا الإسلامي الزاخر بتلك المعاملات الحسنة المستقاة أساسا من الشرع القويم لهو خير شاهد على مدى الرقي والسمو الذي وصل إليه الإسلام في تعامله مع كبار السن.
في المباحث التالية نستعرض بعض تلك الحقوق، ثم نبين هل فعلا المجتمع المسلم يحتاج إلى دار إيواء المسنين، أو ما يسمى بدار العجزة ؟.

المبحث الأول: حقوق ذوي الأرحام

من أهم المبادئ التي تقوي رابطة المسلمين، وتؤلف بين قلوبهم، صلة الأرحام، فهي من الأسس الأخلاقية التي فرضها الإسلام وشدّد عليها.

لقد رتب الله تعالى على صلة الرحم أجرا كبيرا، وثوابا عظيما، يقول الله تبارك وتعالى: (**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [1].

يقول القرطبي[2] في بيان أنواع الرحم التي توصل: "الرحم التي توصل عامّة وخاصّة، فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتودد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة. وأمّا الرحم الخاصّة فتزيد النفقة على القريب وتفقّد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم" [3]. المطالب الآتية تبين تلك الحقوق وماهي الوسائل التي تتحقق من خلالها الصلة والبر.

المطلب الأول: تعريف الرحم لغة واصطلاحا

أولا: تعريف الرحم لغة:

الرحمة رقة وتعاطف على الغير، ومنها كلمة المرحمة والتراحم وترحم، يقال: رحمة الله عليه، والرحمن والرحيم كلمتان مشتقتان من الرحمة. والرحم: بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن، ويقال: بينهما رحم أي قرابة قريبة[4].

ثانيا: تعريف الرحمة اصطلاحا:

ربّما كان من الصعب تعريف الرحمة تعريفا دقيقا، وذلك لأنّ الرحمة عاطفة، والعاطفة لا تدرك بكنهها وإنّما بنتائجها، وذلك من خلال الألفة والمشاركة في الشعور من شخص آخر. وقد عرّفها عبدالرحمن الميداني تعريفا لطيفا قرّب لنا الفهم من خلاله فقال: "الرحمة رقة في القلب يلامس الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر[5] .

---

[1]- سورة الروم، آية: 38.

[2] - هو أبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبي صاحب صاحب التفسير المشهور بـ " الجامع لأحكام القرآن" وقد توفي عام 671هـ.

[3] - العسقلاني: فتح الباري، ج10، ص513.

[4] - الفراهيدي: كتاب العين، ص342.

[5] - الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج2، ص5.

المطلب الثاني: وسائل صلة الرحم

لا شكّ أنّ صلة الرحم واجبة كما دلت عليها الآيات والأحاديث الكثيرة، ولكن كيف تكون صلة الرحم ؟ وبم تكون هذه الصلة ؟

إنّ الرحم درجات بعضها أقرب من بعض، ومن الوسائل المستحبّة في صلتهم " إكرامهم والإهداء إليهم والتصدق على فقيرهم - بإعتباره أحق من الفقير البعيد -، وبتعهد مرضاهم، ومشاركتهم في مسرّاتهم، ومواساتهم في أحزانهم، وتقديمهم على غيرهم في كل أمر هم أحقّ به من غيرهم بسبب قرابتهم "[1].

ومن الصّلة أيضا " التلطف بهم ولين الجانب معهم، وإظهار محبتهم، والإجتهاد في إيصال كفايتهم وخصوصا عند فقرهم، وسدّ حاجاتهم، وبذل المعروف لهم بطيب نفس وانشراح صدر، وكذلك المبادرة إلى صلحهم عند اختلافهم، والتأليف بينهم، وإعانتهم على البرّ والتقوى، وتحذيرهم من الإثم والبغي والعدوان، وكلّ ما يؤدّي إلى القطيعة وفساد ذات البين"[2].

ومن الصّلة كذلك تفقد أحوالهم، والقيام على شئونهم، ومؤانستهم، وإخراجهم من وحشتهم، وإعطائهم ما يستحقون من الأهمية والرّعاية.

قال القاضي عياض[3]: "ولا خلاف أنّ صلة الرّحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث في الباب تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة، ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا، ولو قصر عمّا يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلا " [4].

المطلب الثالث: فضل صلة الرحم وثوابها

---

[1]- المرجع نفسه، ج2، ص36.

[2]- المطوع: سلسلة رؤية لمنهج تربوي اجتماعي ثقافي إسلامي، ج2، ص70.

[3] - عالم بالحديث والأدب والتاريخ، مغربي الأصل، ولي قضاء سبتة وغرناطة، من آثاره " الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، توفي سنة 544هـ.

[4] - النووي: شرح صحيح مسلم، ج16، ص348.

بيّن لنا الرسول ρ جملة من فوائد صلة الرّحم التي يمنّ الله سبحانه وتعالى على الإنسان سواء في الدنيا أم في الآخرة، ومن تلك الفوائد:

1- أنّ صلة الرحم توجب رضا الله تعالى:

فعن عائشة ψ عن النّبي ρ أنّه قال: (الرّحم معلّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)[1]، وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: (إنّ الرّحم شجنة من الرّحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته)[2].

والشّجنة في اللغة: أي عروق الشجر المشتبكة والمتداخلة بعضها في البعض، وكونها من الرحمن: أي أنّ الله تعالى إشتقّ لها إسما من أسمائه وهو الرحمن.

2- صلة الرّحم تطيل في العمر:

عن أبي هريرة τ أنّه قال: سمعت رسول الله ρ يقول: (من سرّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه)[3]، وفي رواية للترمذي (أنّ صلة الرّحم محبّة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر)[4].

وقد أورد الخولي[5] في كتابه **"الأدب النبوي"** شرحا لطيفا في معنى البركة في العمر فقال: "إنّ من يوفق في إيصال رحمه وأقاربه، فإنّ الله تبارك وتعالى يبارك له في عمره فيهبه قوة في الجسم، ورجاحة في العقل، ومضاء في العزيمة، فتكون حياته حافلة بالأعمال الطيّبة، فهي حياة طويلة وإن كانت في الحساب قصيرة، وذلك لأنّ المقياس الحقيقي للحياة المباركة ليس الشهور والأعوام، ولكنه جلائل الأعمال وكثرة الآثار"[6].

---

[1] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، حديث رقم 5988، ص507. مسلم: صحيح مسلم، ج4، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، د.ط، د.ت، الباب16، حديث رقم 2555، ص1981.

[2] - البخاري: الأدب المفرد، حديث رقم 54، ص33.

[3] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم5985، ص1895.

[4]- الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن الترمذي، ج2، إشراف: زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط1، 1408هـ/1988م، حديث رقم 1612، ص189.

[5] - محمد عبدالعزيز، كان أستاذا للشريعة الإسلامية بدار العلوم والقضاء الشرعي بسورية، توفي سنة 1931هـ.

[6] - الخولي: الأدب النبوي، ص115.

وقيل أيضا في شرح هذا الحديث: "إنّ هذا الحديث يحتمل في معناه وجهين، الأول: إنّ هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته لما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، وتكون بهذا سببا لبقاء ذكره بعد موته وكأنّه لم يمت. والثاني: أنّ الزيادة في العمر على حقيقتها، وذلك بالنّسبة لعلم المَلك الموكل بالعمر، كأن يُقال للملك مثلا: إنّ عمر فلان مائة إن وصل رحمه، وستون إن قطعها. وقد سبق في علم الله أنّه يصل أو يقطع، والذي في علم الله تعالى لا يتقدّم ولا يتأخر، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (**يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**) [1] ولكن الأول أظهر والله أعلم"[2].

لقد كشفت الدراسات الحديثة أنّ الأشخاص الذين لهم صلة وعلاقات قوية مع الأهل والأصدقاء فإنّ تعرّضهم للأمراض يقلّ كثيرا "ممّا يتعرض له أولئك الذين لديهم شبكات اجتماعية أصغر، وكلما كثرت صلاتنا بالآخرين إزدادت صحتنا تحسنا، والعلاقات الإيجابية بالأسرة والأصدقاء المقربين ترتبط نسبة البقاء على قيد الحياة لمرضى السرطان" [3].

3- <u>إن صلة الرحم تزيد في الرزق</u>:

عن أبي هريرة τ أنّه قال: سمعت رسول الله ρ يقول: (من أحبّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه)[4]. إنّ صلة الرّحم تترتب عليها آثارا تدعو إلى زيادة الرّزق، فبها يُستجلب محبّة الأهل "ومودّتهم فيعاونونه على كسب الثروة فتزداد. وينفي بالصّلة عداوتهم التي إذا شغل بها استنفدت كثيرا من وقته، ويتعطل فيه عن ابتغاء الرزق، ولأنّه بالصّلة يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة "[5]. وبهذا يفتح الله تعالى له من أبواب رزقه، ويهيء له من أسبابه، ويحفظ ما أعطاه وأنعم به عليه من التلف، ومن يحفظ الله تعالى فيما أمره

---

[1] - سورة الرعد، آية: 39.

[2] - العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج10، ص510.(بتصرف).

[3] - باول، دوغلاس هـ: تسع خرافات عن الشيخوخة، تعريب: هالة النابلسي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/2001م، ص204.

[4] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم5986، ص1896.

[5] - الخولي: الأدب النبوي، ص114.

بـه يحفظه الله تعالى، ويدخله في زمرة المتقين الذيـن قال الله تعالى فيهم: (**... وَمَـن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّـهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِـنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...**) ‹1›.

4- صلة الرحم موجبة لدخول الجنة:

عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري[2] τ، أنّ رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال النبي ρ: (تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم)‹3›. وعنه أيضا τ أنّ رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنّة ويباعدني عن النار، فقال النبي ρ: (لقد وُفق _ أو قال _ لقد هُدي، كيف قلت ؟) فأعاد الرّجل، فقال النبي ρ: (تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرّحم). فلمّا أدبر قال النبي ρ: (إن تمسّك بما أمرته به دخل الجنة)‹4›.

5- صلة الرحم شعار أهل الإيمان:

عن أبي هريرة τ أنّ رسول الله ρ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)‹5›.

6- صلة الرحم تضاعف أجر الصدقة إذا كانت على ذي رحم فقير:

عن سلمان بن عامر‹6› τ، أنّ رسول ρ قال: (الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة)‹7›. وعن زينب الثقفيّة‹1› امرأة عبدالله

---

[1] - سورة الطلاق، آية: 2-3.

[2] - صحابي خزرجي نزل النبي ρ في بيته يوم الهجرة، توفي في حصار القسطنطينية سنة 52هـ.

[3] - البخاري: الأدب المفرد، حديث رقم49، ص30. مسلم: صحيح مسلم، ج1، حديث رقم رقم13، ص43.

[4] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم5928، ص1859. مسلم: صحيح مسلم، ج1، حديث رقم13، ص42.

[5] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم 6138، ص1933. مسلم: صحيح مسلم، ج3، حديث رقم 48، ص1353.

[6] - صحابي جليل اسمه سلمان بن عامر بن أوس الضبي البصري.

[7] - الألباني، محمد نصر الدين: صحيح سنن الترمذي، ج1، م.س، حديث رقم531، ص202.

ابـن مسعود، قالت: قال رسول الله ρ: (تصدّقن يا معشر النساء ولو من حليكن). قلت: فرجعت إلى عبدالله بن مسعود فقلت: إنّك رجل خفيف ذات اليد، وإنّ رسول الله ρ قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله، فإن كان ذلك يجزي عني، وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال عبدالله بن مسعود: بل إئته أنت، قالت زينب: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ρ حاجتي حاجتها، قالت زينب: وكان رسول الله ρ قد ألقيت عليه المهابة، فخرج علينا بلال‹2›، فقلنا له: إئت رسول الله ρ فأخبره أنّ امرأتين بالباب تسألانه: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما، وعلى أيتام حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن. فدخل بلال على رسول الله ρ فسأله، فقال رسول الله ρ: (مـن هما ؟) قال بلال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ρ: (أي الزيانب ؟) قال بلال: امرأة عبدالله. فقال رسول الله ρ: (لهما أجران، أجر القرابة، وأجر الصدقة)‹3›.

7- <u>الفضل لواصل رحمه وإن قطعه الآخرون</u>:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص τ قال رسول الله ρ: (ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)‹4›. وعن أبي هريرة τ: أنّ رجلا قال: يا رسول الله، إنّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويُسيؤون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال له الرسول ρ: (لإن كنتَ كما تقول فكأنّما تسفّهم المـلّ، ولا يزال معك مـن الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك)‹5›. والملّ هو الرماد الحار، والمعنى: أي كأنّما تذر في عيونهم الرماد الحار، وقيل كأنّما تطعمهم الرماد الحار.

---

[1] - هي امرأة عبدالله بن مسعود الهذلي، صحابية جليلة، روت عن النبي ρ عدة أحاديث.

[2] - مؤذن النبي ρ وأول من أذن في الإسلام، توفي في دمشق سنة 20هـ.

[3] - البخاري: صحيح البخاري، ج1، حديث رقم1466، ص438. مسلم: صحيح مسلم، ج2، حديث رقم1555، ص694. ومعنى ألقيت عليه المهابة: أي أنّه كان يعلوه إجلال حتى إذا رآه أحد فإنه يرتعد لرؤيته، كما يقول الإمام علي τ " من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبّه".

[4] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم5991، ص1897.

[5] - مسلم: صحيح مسلم، ج4، حديث رقم2558، ص1982.

9- صلة الرحم وسيلة لتكفير الذنوب:

أتى ابن عباس τ رجلٌ فقال: إنّي أذنبتُ ذنبا عظيما فهل لي من توبة؟ قال: هل لك من أمّ ؟ قال: لا. قال: هل لك من خالة ؟ قال: نعم، قال: فبرها[1].

المطلب الرابع: جزاء قطيعة الرحم

وفي مقابل تفضل الله سبحانه وتعالى وجزاءه لواصل رحمه نجد أنّ سبحانه قد توعّد الذي يقطع رحمه ويسئ إليه، واعتبر قطيعة الرحم من كبائر الذنوب، وتوعّد فيها بالعقوبات العاجلة والآجلة، ومن ذلك:

1- قطيعة الرحم توجب لعنة الله وغضبه:

قال الله تعالى:(**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**) [2]، وقال أيضا:(**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**) [3].

وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: (إنّ الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثمّ قال رسول الله ρ: اقرأوا إن شئتم (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**) [4].

وعن أبي هريرة τ قال رسول الله ρ: (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)[5].

---

[1] - البخاري: الأدب المفرد، حديث رقم4، ص14.
[2] - سورة محمد، آيات: 22-23.
[3] - سورة الرعد، آية: 25.
[4] - مسلم: صحيح مسلم، ج4، حديث رقم 2554، ص1980.
[5] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، حديث رقم 5988، ص507.

2- قاطع الرحم لا يدخل الجنة:

عن الجبير بن مطعم[1] τ قال: قال رسول الله ρ: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)[2].

3- قطيعة الرحم سبب لعدم نزول الرحمة:

عن عبدالله إبن أبي أوفى[3] قال: قال رسول الله ρ:(إنّ الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم)[4].

4- قطيعة الرحم سبب لعدم قبول الأعمال:

عن أبي هريرة τ قال: سمعت رسول الله ρ يقول: (إنّ أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم)[5].

5- تعجل له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة:

عن أبي بكر τ عن النبي ρ أنّه قال: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم)[6].

هذا مردود صلة الرحم، فكيف إذا كان ضمن هذه الأرحام من هو محتاج للرعاية والعناية لكبر سنه وعجزه، فلا شك أنّ الرعاية تزداد وجوبا في حقه.

المبحث الثاني: حقوق الجار

---

[1] - صحابي كان من علماء قريش وسادتهم، وكان من أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة، توفي بالمدينة سنة 59هـ.

[2] - مسلم: صحيح مسلم، ج4، حديث رقم2556، ص1981.

[3] - صحابي بايع النبي ρ بيعة الرضوان، وشهد غزوة خيبر ومابعدها، قدم الكوفة بعد وفاة النبي ρ وتوفي فيها سنة 86هـ.

[4] - البخاري: الأدب المفرد، حديث رقم 63، ص35.

[5] - المنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي: الترغيب والترهيب، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرون، ج3، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1417هـ/1996م، حديث رقم 3726، ص 315.

[6] - الألباني: صحيح سنن الترمذي، ج2، حديث رقم2642، ص307.

من سعادة المرء أن يعيش في بيئة تسودها مظاهر التراحم والتعاطف والمحبة التي تقرب أواصر الألفة بين الناس، والتي منها إكرام الجار والإحسان إليه وحفظ حرمته، وهذه المظاهر من مزايا الأخلاق الإسلامية التي تفرد بها المجتمع المسلم عن غيره، ومن اهتمام الإسلام بالجار نجده أنّه قد وضع حقوقه مع حق الله تعالى وحق الوالدين والأرحام، كما سنرى في المطالب الآتية:

المطلب الأول: منزلة الجار

اهتمّ القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة بالجار والحقوق الواجبة له اهتماما كبيرا، حتى كاد أن يوّرثه كما ورد ذلك في الحديث الذي رواه ابن عمر τ قال: قال رسول الله ρ: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه)[1].

وكثيرا ما قرن الله تعالى بين حقه وحقوق الوالدين والقرابة والجوار، قال الله سبحانه وتعالى: **(وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا)** [2].

وقد تمثل أصحابه بفعله ρ، واحتذوا حذوه وكانوا يتعاهدون جيرانهم بالرعاية والعناية وتقديم الهدايا وغيرها، فعن أبي ذر[3] τ قال: قال رسول الله ρ: (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك)[4]، وعن عبدالله بن عمر أنّه ذبحت له شاة، فجعل يقول لغلامه: أهديت لجارنا اليهودي؟ أهديت لجارنا اليهودي ؟ سمعت رسول الله ρ يقول: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورّثه)[5].

---

[1] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم 6015، ص1902.
[2] - سورة النساء، آية: 36.
[3] - صحابي من أقدم من آمن بالنبي ρ اشتهر بتقواه وتقشفه، توفي سنة 32هـ.
[4] - مسلم: صحيح مسلم، ج4،، حديث رقم2625، ص2025.
[5] - البخاري: الأدب المفرد، باب يبدأ بالجار، حديث رقم 106، ص58.

عن معاذ بن جبل[1] τ قال: يا رسول الله، ما حق الجار على الجار ؟ قال: (إن إستقرضك أقرضته، وإن إستعان بك أعنته، وإن مرض عدته، وإن إحتاج أعطيته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنّيته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات إتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قِدْرك إلا أن تغرف له، وإن إشتريت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده)[2].

المطلب الثاني: أنواع الجيران وحد الجيرة

قال الله تبارك وتعالى: (**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**) [3].

ففي هذه الآية الكريمة أوصى الله سبحانه تعالى عباده بجميع أصناف الجار القريب والبعيد، فالجار ذي القربى كما جاء في الآية هو الجار الذي تكون داره قريبة من دار جاره، وأما الجار الجنب فهو من تكون داره بعيدة إلا أنّه يكون جارا. يقول الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية: " أنّ الجار ذي القربى القريب في جواره، والجار الجنب هو المجاور، والمراد من يصدق عليه مسمى الجوار مع كون داره بعيدة، وفي ذلك دليل على تعميم الجيران بالإحسان إليهم سواء كانت الديار متقاربة أو متباعدة، وعلى أنّ للجوار حرمة مرعية مأمور بها، وفيه ردّ على من يظنّ أنّ الجار مختص بالملاصق دون من بينه وبينه حائل، أو مختصّ بالقريب دون البعيد"[4]. وأما الصاحب بالجنب فهو من "يصاحب الشخص سواء كان في السفر أو شريكا في تعلم العلم، أو جالس إلى جنب صاحبه في مجلس فعليه أن يراعي ذلك ولا ينساه"[5].

---

[1] - صحابي جليل كان من المشاركين في غزو الشام، توفي في طاعون عمواس سنة 18هـ.
[2] - المنذري: الترغيب والترهيب، ج3، ص242.
[3] - سورة النساء، آية: 36.
[4] - الشوكاني: فتح القدير، ص379. (بتصرف).
[5] - الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، ج1، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د.ط، د.ت، ص275. (بتصرف).

روى البخاري عن عائشة ψ قالت: يا رسول الله إنّ لي جارين فإلى أيّهما أهدي ؟ قال: (إلى أقربهما منك بابا)[1].

ولم يكتف النبي ρ بهذا، بل بين إلى أي مدى يكون الجار جارا، فقد روى الزهري عن النبي ρ مرسلا: (أربعين دارا جار)، قيل لإبن شهاب - أي الزهري-: وكيف أربعين دارا ؟ قال: أربعين عن يمينه وعن يساره وخلفه وبين يديه[2]. وعن عائشة ψ قالت: يا رسول الله، ما حقّ، أو قالت: ما حدّ الجوار ؟ قال: (أربعون)[3].

تصوّر مجتمعا يُراعي فيه كل بيت 160 بيتا، فأيّ تراحم، وأيّ تعاطف، وأيّة صلة، بل وأيّة وصيّة هذه التي وصّى بها النبي ρ الجار بها ؟ !.

يقول العلماء في الجيران: أنّ الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق وجار له حقان وجار له حق واحد. أما الجار الذي له ثلاثة حقوق فهو الجار المسلم ذو الرحم، فإنّ له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة. وأما الجار الذي له حقان فهو الجار المسلم فإنّ له حق الجوار وحق الإسلام. وأمّا الجار الذي له حق واحد فهو الجار المشرك فإنّ له حق الجوار فقط.

المطلب الثالث: جزاء من يؤذي جاره

حذر الشارع الحكيم من إيذاء الجار، واعتبر إيذاءه كبيرة من الكبائر والتي سيحاسبه الله تعالى عليه ويجزيه به يوم القيامة أشدّ العذاب، وأيّا كان فإنّ الوصية بالجار أصل متأصل في الإسلام، حتى إنّ النبي ρ نفى الإيمان عن الذي يؤذي جاره، فعن أبي هريرة τ أنّ رسول الله ρ قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن،

---

[1] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم6020، ص1904.

[2] - البيهقي، أبي بكر بن أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، ج6، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1413هـ/1992م، كتاب الوصايا، ص276.

[3] - المصدر نفسه، ج6، كتاب الوصايا، ص276. (إسناده ضعيف).

والله لا يؤمن)، قيل: من يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه)[1] أي الذي لا يأمن جاره من شروره.

يقول الإمام الغزالي[2]: " واعلم أنّه ليس حق الجوار كفّ الأذى فقط، بل احتمال الأذى أيضا، فإنّ الجار إذا كفّ أذاه فليس في ذلك قضاء حق، ولا يكفي احتمال بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف"[3].

عن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[4]. وعن أبي شريح الخزاعي[5]، أنّ النبي ρ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ...)[6].

إذا كان سلوك الفرد يؤذي الجار فإنّه يتنافى مع "مقتضى إيمانه إن كان مؤمنا، وهو محروم من أوّليّات فضائل الأخلاق، فالإيذاء ليس من أخلاق المؤمنين في كل الأحوال، ولكل الناس، فكيف بإيذاء الجار لجاره "[7]، ومن مقتضى هذا كان تشديد النبي ρ، وهو خير من نقتدي به، وقد مثل لنا بتعامله أروع الأمثلة في معاملته للجار ورعايته له، حتى وإن كان من شخص يضمر له العداء.

يُروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود τ فقال له: إنّ لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيّق علي، فقال: إذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه[8].

وبهذا ندرك مدى " خطر إيذاء الجار وعظم شؤمه وسوء مآله، ولا ينجو من ذلك إلا القليل، فإنّ الغيبة والنميمة والسبّ واللعن والشتم أشدّ ما تكون بين الجيران سواء الجيران في المسكن أم الجيران في العمل، أم الجيران في المدرسة

---

[1] - البيهقي: السنن الكبرى، ج4، حديث رقم 6016، ص1902.

[2] - أبوحامد محمد بن محمد أحمد، إمام المتصوفة من أهل طوس لقب بحجة الإسلام، له مؤلفات كثيرة منها "إحياء علوم الدين" و"تهافت الفلاسفة" ، توفي سنة 505هـ.

[3] - الغزالي، محمد بن محمد: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م، ص410.

[4] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم 6138، ص1933.

[5] - خويلد بن عمر الخزاعي، صحابي أسلم قبل الفتح، وكان يحمل أحد ألوية بني كعب بن خزاعة يوم الفتح، توفي بالمدينة سنة 67هـ.

[6] - مسلم: صحيح مسلم، ج1، حديث رقم 48، ص69.

[7] - الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج1، ص62.

[8] - الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، ص 409 .

والفصل وغيرهما، فكل إنسان يجاورك مدة طويلة كل يوم يعتبر جارا لك، له عليك حقوق وواجبات ولك عليه كذلك" [1].

وممّا لا شك فيه أنّه لا بد أن يحتوي بيت الجار، أو من يسكن قريبا منك إنسانا كبيرا في السن يحتاج إلى الرعاية والعطف، بسبب هجر أهله له، أو لإنقطاعه، أو لسبب آخر، فحريّ بك تقديم العناية له، والأخذ بيده ومساعدته، وقضاء حاجاته، وزيارته قدر المستطاع، حتى تكون أهلا للإيمان والتقوى، مصداقا لقول النبي ρ فيما رواه أبو هريرة τ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[2].

المبحث الثالث: حقوق الكبير

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنّ رسول الله ρ قال: (ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا)[3].

إنّ من دعائم بناء المجتمع إحترام الصغار للكبار، والرحمة بهم، وذلك لأنّ هذا السلوك يوطد العلاقة بين أفراد المجتمع، ويقوّي أواصر المحبة والمودة بينهم، وهو الأساس لتماسكه، وهو مبدأ إسلامي حثّ عليه الشارع الحكيم في الكثير من المواقف، علاوة على هذا فإنّه ذوق وفن معاملة وعشرة.

ولنستجلي بعض ما قاله النبي الكريم ρ في حقهم، وكيف أنّه ρ أنزلهم منزلة قلما تعرف لأحد سواه ρ.

1- البدء بالكبير في الأمور كلها:

---

[1] - أيوب: السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص254.

[2] - البخاري: صحيح البخاري، ج4، حديث رقم6138، ص1933. مسلم: صحيح مسلم، ج3، حديث رقم48، ص1353.

[3] - الشيباني، أحمد بن حنبل: المسند، ج11، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1369هـ/1950م، حديث رقم 6733، ص22.

عن ابن عمر τ أنّ رسول الله ρ قال: (أراني في المنام أتسوك بسواك، فجاءني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر، فقيل لي كبّر، فدفعته إلى الأكبر منهما)[1]. وعن سهل بن سعد الساعدي: أنّ رسول الله ρ أتي بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: (أتأذن لي أن أعطيه هؤلاء ؟) فقال: لا والله، لا أؤثر بنصيبي منك أحدا، فتله رسول الله ρ في يده[2].

واستشارة الرسول ρ للغلام إنّما كانت لأنّ الغلام كان يجلس إلى يمينه ρ، وأنّ الرسول ρ كان يحب التيامن في الأمور كلها، وكان يحثّ عليه أيضا، فقد ورد عن أنس بن مالك: أنّ رسول الله ρ أتي بلبن قد شيب بماء، وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبوبكر، فشرب ثمّ أعطى للأعرابي، وقال: (الأيمن فالأيمن)[3]. فدلّ الحديث على أنّ البدء بالأكبر من الآداب الإسلامية التي دعا إليها الرسول ρ، ولولا حبّه ρ للتيامن، لما استشار الغلام، ولبدأ مباشرة بالأشياخ الذين كانوا على يساره ρ.

2- <u>عدم الاستخفاف بهم</u>:

عن أبي أمامة τ عن رسول الله ρ قال: (ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط)[4].

3- <u>يبدأ الأكبر بالكلام</u>:

لقد أخذ الصحابة الكرام بهذا المبدأ في حضرة الرسول ρ، وعند غيابه، فقد قال أبو سعيد سمرة بن جندب τ: لقد كنت على عهد رسول الله ρ غلاما، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أنّ ههنا رجالا أسنّ منّي[5].

---

[1] - البخاري: صحيح البخاري، ج1، حديث رقم 246، ص98. مسلم: صحيح مسلم، ج4، حديث رقم 2271، ص1779.

[2] - الأصبحي،: الموطأ، ، حديث رقم 885، ص315.

[3] - المصدر نفسه، ص315.

[4] - المنذري: الترغيب والترهيب، حديث رقم 174، ص33.

[5] - مسلم: صحيح مسلم، ج2، حديث رقم964، ص664.

إنّ تقديم الكبير للكلام فيه حكمة كبيرة، ألا وهي تهيئة الجو النفسي للمستمعين، فحين يتكلم الأكبر سنا فإنّه "يوفر على القلوب الحقد والتحاسد من المستمعين، محترمين بذلك أولويته وحقه في الكلام، حتى ولو كان يعي أنّه ليس على جادة الحق، مما يمد الأصغر بتقنية حسن الاستماع وفرصة معرفة محاوره ووجهة نظره، واجتناب مقاطعة المتكلم"[1] مما يعطي النفس المجال أن تتمكن من الإستماع ويغذيها ويرتب أفكارها، ويبني على ما بدأه الأكبر قبلا في كلامه.

4- توقيرهم والقيام لهم عند الحاجة:

عن عمر بن السائب أنّه بلغه أنّ رسول الله ρ كان جالسا يوما، فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثمّ أقبلت أمّه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر، فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ρ فأجلسه بين يديه[2]. ولما قدم سعد بن معاذ[3] إلى المسجد قال النبي ρ للأنصار:(قوموا إلى سيدكم) [4].

5- مدحه ρ للشيب والكبر:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ρ: (لا تنتفوا الشيب، ما من مسلم يشيب في الإسلام إلا كانت له نورا يوم القيامة)[5]. لم يكتف بهذا بل أكد أنّهم بركة للأمة، وأنّ البركة إنّما تأتي بوجودهم، فعن ابن عباس τ أنّ النبي ρ قال: (البركة مع أكابركم)[6].

---

[1] - المطوع،: سلسلة رؤية لمنهج تربوي اجتماعي ثقافي إسلامي، ج2، ص212.

[2] - أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ج4، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت ، حديث رقم5145، ص337.

[3] - سيد الأوس، شهد بدرا، ورمي يوم أحد بسهم، توفي بعدما حكم على بني قريضة، قال عنه النبي ρ : "اهتز العرش لموت سعد بن معاذ".

[4] - البخاري: صحيح البخاري،ج3، حديث رقم 1442، ص 1255.

[5] - أبو داود: سنن أبي داود، ج2، حديث رقم4202، ص85.

[6] -البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبوحاتم التميمي: صحيح بن حبان، ج2، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/1993م، حديث رقم559، ص319. الحاكم، محمد بن

وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: (ألا أنبئكم بخيركم ؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (خياركم أطولكم أعمارا، وأحسنكم أعمالا)[1].

6- <u>تبرّؤه ρ ممن يهين الشيخ:</u>

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنّ رسول الله ρ قال: (ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا)[2]. عن ابن عباس عن النبي ρ قال: (ليس منّا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)[3].

لقد رأينا كيف أوصانا النبي ρ بالكبار ورعايتهم، فماذا نحن فاعلون حيال هذا التوجيه الكريم ؟ وهل بلغت الشرائع قديما وحديثا ما بلغته شريعة سيدنا محمد ρ ؟ الذي مدحه ربّه فقال:(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**) [4].

إنّنا أصبحنا في مجتمع بدأ يسري فيه فقدان احترام الكبار وتوقيرهم، والسلوك المعوج الذي بدأ ينتقل إلينا من الغرب وحضارته المادية البحتة.

وقد تناقلت إلى أسماعنا بعض الحوادث التي يندى لها الجبين "أشخاص تنازلوا عن آبائهم وتركوهم في العراء دون وازع ديني يردعهم، فأين الرحمة والبرّ اللذان أمر بهما ديننا الحنيف ؟ (**... وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**) [5]، لقد تجاهل كثير من الناس هذه الأمور، فأصبحت واقعا مؤلما نعيشه كل يوم.

لابد أن يعيش المسن حياة كريمة له حقوقه المشروعة، وعليه واجباته المطلوبة حسب طاقته، حاله كحال أيّ إنسان في المجتمع. لماذا نحرمه من هذا لمجرد أنه بلغ هذا العمر. هناك حقيقة لا تخفى على العاقل هي: أنّ أي

عبدالله: المستدرك على الصحيحين، ج1، تحقيق: مصطفى عبدالقارد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1411هـ/1990م، حديث رقم210، ص331.

[1] - الشيباني: المسند، ج12، حديث رقم 7211، ص199.

[2] - المصدر نفسه، ج11، حديث رقم 6733، ص22.

[3] - المصدر نفسه، ج5، م.س، حديث رقم 2329، ص95.

[4] - سورة الأنبياء، آية: 107.

[5] - سورة الإسراء، آية: 24.

آلة لا تعمل تصدأ، وأي عضو لا يعمل سوف يضمر، فمن الخطر أن نجحف حقوق هؤلاء الشيوخ ونتركهم دون اهتمام ورعاية.

فيجب على المجتمع ومن يمثله أن يهيء لكبار السن أعمالا يشغلون بها أوقاتهم، ويستثمرون فيها طاقاتهم، سواء كانت في جمعيات خيرية أو مؤسسات إنسانية أو تعليمية أو مجالات استثمارية وإعلامية وغير ذلك، حتى يتسنى لهم العيش بقية حياتهم وهم مطمئنو البال موفورو الصحة والكرامة.

المبحث الرابع: هل المجتمع الإسلامي في حاجة إلى دور الرعاية ؟

إنّ من سعادة الإنسان – خاصة كبير السن – أن يحظى بالطمأنينة والشبع النفسي، والاستقرار العاطفي وأن يعيش في أسرته بين أبنائه وبناته، مع برّهم له وحرصهم على رعايته والعناية به، فمهما قدّم إليه من " صنوف الحب والمودة والرعاية والعناية، فإنّه لا يستطيع أن يستغني بحال من الأحوال عن مودة وتعاطف وحنان أبنائه وبناته في أسرته" ‹1›.

في الأحوال الطبيعية للأسرة، يعتبر الشيخ رمزا لها، ومؤسسا لكيانها، ولكن قد تعتري الأسرة أمور تعجز عن تقديم الرعاية والعناية لهذا الشيخ في نطاقها، أو قد يفقد الأبناء إنسانيتهم فيتنكرون لهذا الشيخ ويودعونه في دار من دُوُر الرعاية تخلصا منه ومن متاعبه.

فحينما تعجز الأسرة عن تقديم الرعاية اللازمة للمسن لسبب من الأسباب، وتضعه في دار رعاية تقوم على أمره، وتقدم له المساعدة والعناية اللازمة له ليلا ونهارا فهذا لا يعني نتيجة "فتور حبهم له أو تفريطهم في حقوقه الواجبة عليهم، بل قد تكون موافقتهم على ذلك دليلا على حبهم له واعتزازهم به، ومراعاة لسعادته، وضمانا له وهو موفور الصحة والنشاط، وقضاء أسعد الأوقات "‹2›، ويمكن للأبناء أن يبرهنوا على هذا عن طريق قيامهم بواجب الزيارات المتكررة لـه، والجلوس معه لساعات طويلة ... الخ.

أمّا عندما يتنكر الأبناء لفضل هذا الشيخ ، فيعملون جاهدين للتخلص منه بإيداعه في إحدى هذه الدور، وحيدا كليلا، ينأونه عن الحنان والعطف والبر، ويحرمونه من

---

[1] - أسعد: رعاية الشيخوخة، ص117.

[2] - المصدر نفسه ، ص116.

ظروف ألفها في أسرته وتكيف معها، وشعر – مهما كانت هناك من مشاكل وخلاف بين أفراد الأسرة - خلالها بالأمن والاستقرار.

لا شكّ أن هذا السلوك غاية في الجحود ونكران الجميل والفضل، والذي لا يقبل به لا دين ولا أي نظام على هذه الأرض، وهو لا يتفق والأساس الذي أوجدت لها هذه الدور والمؤسسات الإنسانية.

وهناك حالة أخرى تلجئ الشيخ إلى دور الرعاية، وهي حينما يكون الشيخ وحيدا لا أهل له ومنقطعا من الذرية، ففي هذه الحالة يكون مصيره إلى هذه الدور، التي تقوم بواجب الرعاية والعناية به.

ومن هنا نستطيع الإجابة على السؤال الآتي: هل مجتمعنا بحاجة إلى دور الرعاية؟

والجواب هو أنّ الأصل في رعاية المسن إنما يكون في بيته وأسرته وبين أبنائه، ولكن حينما يغيب دور الأسرة عن تقديم هذه الرعاية لسبب من الأسباب فحينها يبرز دور هذه الدُور والمراكز لتقديم اللازم، والقيام بالواجب تجاههم، فهي والحالة هذه تكون حلا لابد منه لمشكلة هؤلاء الناس. ولكن لا تكون أبدا بديلا لأسرة ومنزل المسن نفسه، وخصوصا وقد أثبتت " الدراسات وفي جميع المجتمعات أنّ المنزل والمجتمع الذي عاش فيه المسن هو المكان الأنسب له، وينبغي أن تتضافر جميع الجهود العائلية والرسمية والتطوعية لإبقاء المسنين أطول فترة ممكنة في منازلهم وفي المجتمع، معتمدين على أنفسهم أو بدرجات متفاوتة من المساعدة من قبل الجهات المختلفة "[1].

[1] - الرماني: "روافد رعاية المسنين"، جريدة الجزيرة.

المقترحات والتوصيات

****

هذه بعض المقترحات والتوصيات التي نسعى من خلال تحقيقها حفظ كرامة كبار السن،وهذا يتطلب تضافر الجهود الفردية والمجتمعية على مختلف المستويات.

أولا: تقديم كافة الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية للمسنين وربطهم بالله تعالى

اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بفئة كبار السن قلّ نظيره في جميع الشرائع القديمة والحديثة، لهذا فإنّه اعتبر " أول نظام عادل نسّق بين معاني الرعاية العاطفية، ومظاهر العدالة الاجتماعية الحقيقية في تكريم الشيوخ، وتحديد حقوقهم وواجباتهم، وتمكينهم من تأدية وظيفتهم وممارسة نشاطهم على أكمل وجه، وبحرية تامة مادام أنها لا تعارض مبادئ الشرع، ولا تتعدى على حرية الآخرين" [1].

لهذا فإنّه قعّد قاعدتين رئيسيتين اندرجت تحتهما جميع الحقوق الواجب حفظها لهم هما:

[1] - السلمان، محمد عودة: " رعاية المسنين في الإسلام"، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد 395، السنة 35، رجب 1419هـ/ أكتوبر 1998، ص51.

القاعدة الأول هي تحقيق كرامته على أنّه إنسان، منطلقا من قول الله تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**) [1].

وهذه القاعدة تعتبر من أهم القواعد التي كفّلت سبل الحياة الكريمة للإنسان عامة وللمسن خاصّة، وقد عمل الإسلام على تحقيقها منذ بداية دعوته.

يقول محمد سعيد رمضان البوطي[2] " إنّ مردّ سائر الأحكام التي تضمنها الإسلام إلى حماية قدسية الإنسان وكرامته في كل من كينونته الفردية، ومظهره الاجتماعي، فإنّ الإنسان إن استعمل سبل هذه الوقاية على وجهها، حفظت له تلك القدسية والكرامة على أتمّ وجه، وإن أهملها وأخرج نفسه من سياجها هبط إلى الدرك، وتبدّدت قيمته الإنسانية السامية بين عواصف الغرائز والأهواء الجانحة " [3].

أمّا **القاعدة الثانية** التي كفلها الإسلام للإنسان عامة وللمسن خاصة فهي تحقيق كفايته المعيشية في الحياة، وتوفير سبل العيش اللازم له، بحيث تتوفر له مقومات الحياة الكريمة من المسكن والملبس والمأكل والمشرب.

وهذا الشرط موصول بالشرط الأول وهو ثمرة من ثمراته، إذ أنّ الإسلام لا يدعو إلى توفير سبل العيش الكريم دون توفير الرعاية النّفسية لهم، وتكريمهم وإعزازهم.

ومن خلال هاتين القاعدتين يتضح لنا حرص الإسلام ودعوته على تحقيق وتوفير كل سبل الحياة الكريمة للمسنين، حيث أدرج في أحكامه أيضا الكثير من الشواهد القرآنية والحديثية التي تعزز ذلك.

ثانيا: الإستفادة من أوقات المسنين بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع

---

[1] - سورة الإسراء، آية: 70.

[2] - مفكر إسلامي سوري النشأة ولد عام 1929م، له الكثير من المؤلفات في الشريعة الإسلامية وآدابها والفلسفة والاجتماع وغيرها.

[3] - البوطي، محمد سعيد رمضان: قضايا فقهية معاصرة، مكتبة الفارابي، دمشق، ط4، 1413هـ/ 1992م ص146.

من المسلم به أنّ كبار السن القادرين على العطاء هم عبارة عن ثروة يجب أن تستغل من الناحية البدنية والفكرية للمساهمة في تنمية وتطوير الموارد الاقتصادية والاجتماعية للدولة.

وهذه الثروة الكامنة تحتاج إلى من يعمل على استغلالها بما يعود على المسنين وعلى مجتمعهم بالنفع والفائدة، وفي أبسط الصور يقدّمون خبراتهم في كافة جوانب الحياة.

كذلك يمكن إشراكهم في " البرامج الخاصة بهم من خلال تمثيلهم في بعض مجالس إدارة جمعيات رعاية المسنين، والاستفادة من جهودهم التطوعية وخاصة ما يتعلق بالأمور الإدارية والتنظيمية للجمعيات ودور رعاية المسنين"[1]. كذلك يمكننا أن نستفيد من وقت الفراغ الممل الذي يعانونه، ونوفر لهم وظيفة " جليس الأطفال"، وغير ذلك من الأمور التي لها الفائدة المادية والمعنوية بالإضافة إلى عدم هدر طاقاتهم وإمكانياتهم.

ثالثا: عدم عزل المسنين وإعطائهم فرصة المساهمة بتنمية المجتمع

لا شك أنّ المسنين يحملون طاقات فكرية كبيرة، نتيجة خبراتهم وتجاربهم في الحياة، ومن المؤسف أن تهدر هذه الطاقات، لذلك يجب أن تتاح لهم الفرص لتقديم ما يستطيعون لمجتمعهم، بل والاستفادة منهم قدر المستطاع.

إنّ نظرة البعض لهم على أنّهم فقدوا القدرة على العطاء ليس لها أساس علمي.

إنّ الفروق الفردية في الذكاء والعطاء واسعة بين أفراد المجتمع، وإنّ الصحة لا ترتبط أساسا بالسن وحده، وليس صحيحا أنّه من كبرت سنّه تهاوى عطاؤه، وقلت قدرته العقلية والفكرية وحتى الجسدية في الكثير من الأحيان.

وقد دعا العالم الأمريكي ليون سيمونز[2] إلى "إحصاء إمكانيات كبار السن وعطائهم ونادى بالكف عن تسميتها لعنة تَصُبّها الأقدار على الشيوخ، وتقيّد من طاقاته الكامنة، إذا سلم الجميع بأنّ الشيخوخة مرحلة طبيعية وعادية من مراحل العمر الإنساني يمر بها عدد كبير من الخلق" [3].

---

[1] - وزارة التعليم العالي: " ندوة رعاية المسنين"، ص112.

[2] - عالم اجتماعي أمريكي معاصر كتب عن الشيخوخة ونادى بالاستفادة من قدراتهم وطاقاتهم.

[3] - السلمان: " رعاية المسنين في الإسلام"، ص51.

لهذا فمن الضروري أن يعطى المسن دوره في المجتمع، ولا يترك على هامش الحياة، وخاصة في مرحلة ما بعد التقاعد، وحبذا لو رُفع سنّ التقاعد في بعض المهن مثل التعليم والقضاة حيث أثبتت الدراسات أنّ بعض المهن يكون عطاء الشيخ الكبير فيه أكبر وأحكم.

كذلك يمكن أن يجعل سنّ السّتين المحدد للتقاعد اختياريا خاصة لمن يجد في نفسه قوة العمل والعطاء، وإيجاد البدائل لمن تقاعد بعد الستين بأعمال تناسب قدراتهم وميولهم للاستفادة من خبراتهم وإمكانياتهم.

كذلك يستحسن إقامة مشروعات تكون نواتها المسنون أنفسهم، حيث ينقلون إليها خبراتهم ومهاراتهم.

إنّ عزل المسنين عن المجتمع وقضاياه، وعدم المساهمة في أمور الحياة يأخذ ذلك بهم " في أعم الأحوال إلى الانطوائية التي تصيب البعض من المتقدمين في العمر، وحيث يعاني البعض من العزلة الاجتماعية، وما يتبعها من انسحاب وانقطاع من الحياة الاجتماعية، فإنّ من الضرورة إتاحة أكبر قدر من الفرص أمام الشيوخ القادرين على المشاركة الايجابية في الحياة العامة، ففي هذا ما يضفي على حياتهم الاحساس بقيمة الذات، والانتماء الاجتماعي، والشعور بالارتياح، والقبول من جانب الآخرين" [1].

رابعا: تأمين وسائل الترفيه ضمن الامكانيات وفي حدود الشريعة

من الملاحظ أنّ كثيرا من المسنين يهمّشون في هذه الحياة بعد تقاعدهم من العمل، مما يولد في نفوسهم الإحباط واليأس والعزلة التي تكون غالبا سببا للكثير من الأمراض النفسية.

لهذا فإنّ الوسائل الترفيهية كالمخيمات والمشاركة في الرحلات واللقاءات لها نتائج طيبة في نفوسهم، مما يساعدهم على استغلال أوقات فراغهم في أشياء مفيدة، علاوة على أنّها تخفف بعض متاعب الشيخوخة، وحالات اليأس.

خامسا: إيجاد برامج تنمّي مهارات المسنين وتعمل على التخفيف من حالاتهم النفسية، وتشعرهم بإنتمائهم إلى المجتمع

[1] - آل شارع: " سيكولوجية الشيخوخة في ضوء الهدي الإسلامي" ، ص227

تشير العديد من الدراسات أنّ معاناة كبار السن لا تتمثل فقط بأمراض الشيخوخة التي يتعرضون لها، بل غالبا بسبب تهميش دورهم في المجتمع، يقول زيد محمد الرماني " لقد أوضحت نتائج كثير من الدراسات أنّ التقاعد يؤثر على التوافق الاجتماعي للمسنين، ما لم يستطيعوا تعويض فقدان العمل بأنشطة متنوعة يمكن أن تساعدهم على قضاء وقت الفراغ، واشباع حاجاتهم وتحقيق ذاتهم، فالعزلة بالنسبة للمسنين تجعلهم أقل قدرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية، أمّا العمل فيساعدهم على حلّ الكثير من مشكلاتهم، وإعطاءهم الأهمية والمكانة الاجتماعية " [1].

لذلك يجب العمل على إشراكهم في الأنشطة المختلفة والتي تنمي مهاراتهم، وتقضي على أوقات فراغهم، وقبل ذلك يجب العمل على تحسين أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية، وتحقيق الحد المناسب لضمان استقرار حياتهم، والذي يكفل لهم بعد ذلك العمل ضمن المجموعة والانخراط في نشاطات المجتمع، والتكيف مع البيئة من حولهم.

سادسا: تكريس مبدأ التواصل بين المسن وذويه

أثبتت الدراسات أنّ المنزل والمجتمع الذي عاش فيه المسن هو المكان الأنسب لبقائه، وأكدت أيضا على أهمية دور الأسرة في رعايته، والتواصل المستمر بينها وبينه، وأنّ تحقيق السعادة والطمأنينة لا تتحقق إلا إذا شعر بأنّ أبناءه وأحفاده وأقرباءه متعلقون به، وحريصون على راحته، ومهتمون بمصالحه.
إنّ حصول المسن على الاهتمام والرعاية والحنان من خارج إطار الأسرة لن تكون بديلا، ولن تسد مسدّ حنان وعطف ورعاية الأبناء والأهل.
لذلك يجب تكريس مبدأ هذا التواصل من خلال القيم الإسلامية، والعادات والتقاليد المتأصلة، التي تشجع على احترام الوالدين وكبار السن، وإقامة الندوات واللقاءات المختلفة التي تدعم هذا المبدأ وتحض عليه.

[1] - الرماني: " روافد رعاية المسنين"، جريدة الجزيرة، ط1، الخميس 22 ربيع الأول 1422هـ، العدد 10486.

وعلى المجتمع دور كبير في تثبيت ذلك التواصل من خلال دعم أسرة المسن، وتوفير احتياجاتها من أجل المحافظة على المسن الموجود فيها، والعمل على إبقائه في بيته وبين أسرته.

سابعا: الإرشاد التربوي والتأهيل المهني للمسن

وضع وسائل تربوية وارشادية وتأهيلية للمسنين والقائمين على رعايتهم وذلك من خلال وضع كتيبات تثقيفية، وعقد اللقاءات والندوات المختلفة التي ترشد المسن تربويا، وتؤهله مهنيا، وتعلمه طرق اكتساب المهارات والقدرات، وفي الوقت ذاته ترشد القائمين على رعاية كبار السن إلى أفضل السبل وأنجع طرق التعامل معهم.

ثامنا: وضع سياسات اجتماعية تخدم المسنين

تهدف هذه السياسة إلى توفير جميع احتياجات المسنين الاجتماعية والثقافية والصحية، ويمكن ترجمتها إلى الواقع العملي، وتفعيلها ودعمها بكل السبل، بحيث تعزز أسهامهم في كافة جوانب الحياة المختلفة، بدلا من تهميشهم، وجعلهم عالة على الآخرين.

وتبرز هذه السياسة أيضا حق المسن في الحياة، وحقه في تقرير مصيره، ومشاركته في الأمور السياسية والثقافية والترويحية بشكل فعّال ومؤثر، وإعداد البرامج والدراسات التي تحد من عزلتهم عن المحيط الاجتماعي، وانسحابهم من هامش الحياة.

تاسعا: إبراز مبدأ رعاية الوالدين والمسنين في الإعلام والمناهج الدراسية

إنّ لوسائل الإعلام المختلفة من التلفزيون والإذاعة والصحف والكتب والإنترنت وغيرها دور كبير في توعية الجمهور بمشكلات المسنين واحتياجاتهم، وتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة عن مرحلة الشيخوخة.

لذلك يجب إعدادها لتقوم " بترسيخ القيم الاجتماعية الإيجابية المتعلقة برعاية المسنين على المستويات كافة، الفردية والأسرية والمجتمعية، والتي تحقق السعادة والاستقرار النفسي لهذه الشريحة من المجتمع " [1].

يجب إعدادها لتكون أداة تخدم هؤلاء المسنين، وتقدّم لهم الخدمات المختلفة، وتستضيفهم في لقاءات خاصة تبرز خلالها أعمالهم، وهمومهم وطموحاتهم.

أمّا بالنسبة للمناهج الدراسية فلا يخفى أنّ لها الأثر الفعال في تنبيه الطلبة إلى أهمية مرحلة الشيخوخة، وأنّها تستحق كل العناية والرعاية، وذلك بإبراز ما قدمه كبار السن من عطاءات كبيرة للمجتمع خلال مراحل عمرهم.

لهذا يجب إعادة النظر في المناهج التعليمية، حيث يتم الترسيخ في ذهن الناشئة أهمية الشيخوخة وإبراز إيجابياتها، واعتبارها مرحلة نضج وخبرة، لا مرحلة ذبول وعالة.

عاشرا: الاعتناء بصحة المسن

تميّز التاريخ الإسلامي بتطور الطبّابة والأبحاث العلمية، وإنشاء العديد من المستشفيات والبيمارستانات، وتأليف الكتب الطبية، حتى أصبحت الحضارة الإسلامية من أغنى الحضارات في تقديم العلاج والاعتناء بالصحة.

وبطبيعة الحال فإنّ الاعتناء بظروف المسنين الصحية واحتياجاتهم العلاجية قبل وأثناء المرض من حيث رعاية صحتهم العامة ووقايتهم من الأمراض والاجتهاد في تقديم العلاج الناجح عند المرض يجب أن تتاح لهم على أنّهم جزء من المجتمع تمثلا بقول النبي ρ في الحديث الذي رواه أبوهريرة τ : (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء)[2]، وعن أسامة بن شريك قال: شهدتُ الأعراب يسألون النبي ρ : أعلينا حرج في كذا ؟ أعلينا حرج في كذا ؟ فقال

[1] - وزارة التعليم العالي: " ندوة رعاية المسنين "، ص114.

[2] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الطب، باب ماأنزل الله من داء إلا وأنزل معه شفاء، حديث رقم 5678، ص486.

لهم: (عباد الله وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئا. فذاك الذي حرج) فقالوا: يا رسول الله هل علينا جناح أن لا نتداوى ؟ قال: (تداووا عباداالله، فإنّ الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء. إلا الهرم)[1].

على هذا فإنّه يجب أن يشمل المسنين كل جهود العلاج التي تقدم لسائر فئات المجتمع بلا استثناء سواء كان العلاج نفسيا أم جسديا " وليس بالضرورة إنشاء أقسام متخصصة في كل مكان لرعاية المسنين، وإنّما الأهم هو التركيز على طب الشيخوخة لدى الأطباء حيث ما زال الكثير من الأطباء الشباب ينظرون للشيخوخة بمزيج من الحيرة واللامبالاة وقلة الحيلة" [2].

ومما ينبغي التنبّه إليه أنّ الإسلام حرّم الانتحار بكل أشكاله وفي جميع الأحوال، فعن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنّم يتردّى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسّى سمّا فقتل نفسه فسمّه في يده يتحسّاه في نار جهنّم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنّم خالد مخلدا فيها أبدا) [3].

ومن هذا يتضح نهي الإسلام عمّا أثير في أمريكا وبريطانيا حول موضوع مساعدة المريض المتألم ألما شديدا على إنهاء حياته، مخالفة بذلك تعاليم الدين والخلق والقانون الطبي.

والنبي ρ نهى من أيس من حياته تمني الموت، امتثالا للحديث الذي رواه سعد بن عُبيد أنّ رسول الله ρ قال: (لا يتمنى أحدكم الموت، إمّا محسنا فلعله يزداد، وإمّا مسيئا فلعله يَسْتَعْتِب)[4].

الحادي عشر: إيجاد قاعدة معلومات عن المسنين

---

[1] - ابن ماجه: سنن ابن ماجه، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، حديث رقم 3436، ص2684.

[2] - عريقات: نافذة على الشيخوخة، ص78.

[3] - البخاري: صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به، حديث رقم 5778، ص493.

[4] - المصدر نفسه، كتاب التمنّي، باب ما يكره من التمنّي، حديث رقم7235، ص603.

من المفيد جدا أن يحظى المسنون بالعناية من خلال إيجاد قاعدة بيانات توفر عنهم كل المعلومات التي تسهل للباحثين والمختصين الذين تهمّهم قضية كبار السن، وذلك من حيث حصر أعدادهم وأماكن وجودهم والخدمات المتاحة لهم، واحتياجاتهم وغير ذلك، وذلك من أجل متابعتهم ومتابعة حالاتهم.

الخاتمة

****

يتضح لنا مما سبق أنّ الحفاظ على كرامة الإنسان عامّة والمسن بصورة خاصة هو ما يجب أن يؤخذ بالاعتبار، وأنّ الشيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل العمر تحتاج إلى مزيد من الاهتمام والاحترام والتقدير لأنّ المسن أعطى من حياته الكثير، وهذا يتطلب منا إعطاء مسألة المسنين بعدا إنسانيا، ولا يصح اعتبارهم كما مهملا، وإنّما يتعين المضي قدما في الاعتزاز بهم كأفراد شاركوا في مراحل التقدم والانجازات التي أحرزها المجتع من خلال جهودهم.

وهذا ما يوجبه علينا ديننا وأخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنّ رسول الله ρ قال: (ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا)[1].

وكذلك فإن معظم الدراسات التي تركزت حول رعاية المسنين تؤكد أنّ إدخال المسن دار الرعاية يؤدي به إلى الإحباط والحزن، وخصوصا إذا ما اقترن بذلك هجر أهله له، وتركه محبوسا بين جدرانها.

ولهذا فإنّنا نرى أنّ دُور الرعاية ورغم ما توفره للمسنين من خدمات صحية واجتماعية على أعلى المستويات، فإنّها لم تستطع توفير الاطمئنان والأمن النفسي لهم الذي مصدره الأسره، فكانت الدعوة إلى الأخذ بيد الأسرة ومساعدتها في رعاية مسنّيها، لأنّ إبقاء المسن في أسرته مع توفير كل احتياجاته يعتبر أكثر فاعلية لحياة طيبة، وأقل كلفة من بناء الدور والمستشفيات لكبار السن.

وبما أنّ الأسرة قد تخفق أحيانا في التعامل مع هذا المسن، وتجهل في تقديم العناية والرعاية التي يحتاجها، وأحيانا قد يكون المسن وحيدا ليست له ذرية أو أهل يقومون على رعايته والعناية به، ففي هذه الحالة يتطلب من المجتمع أن يكون متضامنا " في علاج مشكلات الشيوخ المسنين من منطلق مبدأ التكافل الاجتماعي والذي هو من أسس التضامن في المجتمع الإسلامي، واحتراما لحق الحياة لمن وصلوا إلى أرذل العمر. لذلك قد تؤدي الجمعيات الخيرية أو دور

[1] - مسند الإمام أحمد، ج11، حديث رقم 6733، ص22.

الرعاية الاجتماعية دورها الحيوي في كفالة ورعاية الشيوخ الذين لا تتوافر لهم سبل العيش الكريم مع أسرهم "[1]، وهذا لا يعني أن يوضع المسنون في هذه الدُور ويُتركوا مهبّا لرياح الكآبة والأحزان والأوجاع لتستولي عليهم، وتجعلهم عرضة لإزدياد أمراضهم، إذ مهما قدمت هذه الدُور من أنواع الرعاية والعناية فهي لا تكون بديلا لدور الأسرة والأبناء تجاه آبائهم وأمهاتهم.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

[1] - آل شارع: "سيكولوجية الشيخوخة في ضوء الهدي الإسلامي"، ص227.

المصادر والمراجع

****

القرآن الكريم

1. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: **المستطرف في كل فنّ مستظرف**، تحقيق: مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1421هـ/2000م.
2. ابن أبي شيبة، أبوبكر: **المصنّف**، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ/ 1995م.
3. ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني: **الكامل في التاريخ**، دار بيروت، بيروت، د.ط، 1358هـ/1965م.
4. ابن تاج الدين، أحمد بن إبراهيم بن خليل: **أحكام المرضى**، تحقيق: محمد سرور محمد مراد البلخي، د.د، الكويت، ط1، 1418هـ/ 1997م.
5. ابن تيمية، أحمد بن تيمية الحراني: **مجموعة الفتاوى**، تخريج: عامر الجزار وزميله، دار ب حزم، د.م، ط1، 1418هـ/ 1997م.
6. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج: **البر والصلة**، تحقيق: عادل عبدالموجود وزميله، مكتبة العلا، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1424هـ/1003م.
7. ابن حجر، أحمد بن علي: **سبل السلام بشرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1422هـ/2002م.
8. ابن حزم، علي بن محمد: **مراتب الإجماع**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
9. ابن الحطاب، محمد عبدالرحمن: **مواهب الجليل شرح مختصر الخليل**، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ/ 1978م.
10. ابن سلام، القاسم: **كتاب الأموال**، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1988م.
11. ابن العربي المالكي، أبوبكر: **عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
12. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: **كتاب عيون الأخبار**، تحقيق: محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1423هـ/2002م، ص695.
13. ابن قدامه، عبدالله بن أحمد المقدسي: **المغني والشرح الكبير**، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1346هـ
14. ابن كثير، إسماعيل عمر القرشي: **تفسير القرآن العظيم**، دار السلام، الرياض، ط1، 1421هـ/ 2000م.
15. ابن ماجه، محمد بن يزيد الربعي: **سنن ابن ماجه**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط1421،3هـ/ 2000م.

16. ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، تحقيق: عبدالله علي الكبير وزملاؤه، دار المعارف، د.م، د.ط، د.ت، ص2122.
17. ابن الهمام، محمد بن عبدالواحد: شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ط2، د.ت.
18. أبو داود، سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.
19. أبو داود، سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط3، 1421هـ/ 2000م.
20. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: **كتاب الخراج**، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1988م.
21. أسعد، يوسف ميخائيل : **رعاية الشيخوخة**، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2000م.
22. الأصبحي، مالك بن أنس: **الموطأ**، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار القلم، بيروت، ط1، د.ت.
23. الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الأدب المفرد**، مكتبة الدليل، د.م، ط4، 1418هـ/ 1997م.
24. الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح سنن الترمذي**، إشراف: زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط1، 1408هـ/1988م.
25. الأورفلي، أحمد: **الشيخوخة**، دار الشرق الأوسط، د.ط، د.ت.
26. أيّوب، حسن: **السلوك الاجتماعي في الإسلام**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، د.ط، 1417هـ/1996م
27. الباجي، سليمان بن خلف: **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1331هـ.
28. باول، دوغلاس هـ: **تسع خرافات عن الشيخوخة**، تعريب: هالة النابلسي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/2001م .
29. البخاري، محمد بن إسماعيل: **الأدب المفرد**، تحقيق: سمير بن أمين الزهري، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1419هـ/ 1998م.
30. البخاري، محمد بن إسماعيل: **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1419هـ/1998م.
31. البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
32. البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط3، 1421هـ/ 2000م.
33. بدران، عبدالله وزميله: **الأخلاق الإسلامية للناشئة**، دار المحبة، دمشق، ط1، 1414هـ/ 1992م.
34. البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبوحاتم التميمي: **صحيح بن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/1993م.

35. البلوي، سلامة محمد الهرفي: **رعاية الفئات الخاصة**، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 1424هـ/2003م.
36. البلوي، سلامة محمد الهرفي: **صور من التكافل الاجتماعي**، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 1424هـ/2003م
37. البوطي، محمد سعيد رمضان: **قضايا فقهية معاصرة**، مكتبة الفارابي، دمشق، ط4، 1413هـ/ 1992م.
38. البيهقي، أبو بكر بن الحسين بن علي: **السنن الكبرى**، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1413هـ/1992م.
39. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: **جامع الترمذي**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط3، 1421هـ/ 2000م.
40. التميمي، أحمد بن علي: **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون للتراث، د.ط، د.ت.
41. الحازمي، إبراهيم عبدالله: **عاقبة عقوق الوالدين**، دار الشريف، الرياض، ط1، 1423هـ/ 2002م.
42. الحازمي، إبراهيم عبدالله: **فضل برّ الوالدين**، دار الشريف، الرياض، ط2، 1424هـ/ 2003م.
43. حافظ، عماد زهير: **منهج القرآن الكريم في رعاية ضعفاء المجتمع**، مطابع شركة المدينة المنورة، جدة، ط1، 1413هـ/ 1992م.
44. الحاكم، محمد بن عبدالله: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبدالقارد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1411هـ/ 1990م.
45. حسن، نورهان منير وزميلها: **الرعاية الاجتماعية للمسنين**، المكتبة الجامعية، اسكندرية، د.ط، 2000م.
46. خليل، محمد بيومي: **سيكولوجية العلاقات الأسرية**، دار قباء، القاهرة، د.ط، 2000م.
47. الخولي، محمد عبدالعزيز: **الأدب النبوي**، دار كرم، دمشق، ط4، 1375هـ/ 1955م، ص115.
48. دعبس، محمد يسري إبراهيم: **التكوين النفسي للمسنين في الثقافات المختلفة**، دار المطبوعات الجديدة، إسكندرية، د.ط،1991م.
49. ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي نجيب محمود، د.د، القاهرة، ط5، د.ت.
50. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1410هـ/1990م.
51. الرملي، شمس الدين محمد: **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الأخيرة، 1386هـ/ 1977م.
52. الزركشي، شمس الدين محمد بن عبدالله الحنبلي: **شرح الزركشي على مختصر الخرقي**، دار أولي النهى، د.م، د.ط، 1414هـ.

53. السباعي، مصطفى: **من روائع حضارتنا**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط5، 1407هـ/ 1987م.
54. السدحان، عبدالله ناصر: **رعاية المسنين في الإسلام**، جمعية الإصلاح، البحرين، د.ت، د.ط.
55. السرخسي، ابو بكر محمد بن أحمد بن سهل: **المبسوط**، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1324هـ.
56. السلوم، عبدالله بن فهد وزميله: **حق لا ينسى**، دارالمسلم، الرياض، ط1، 1416هـ/1995م.
57. سليمان، محمد بن الوليد بن خلف: **بر الوالدين**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م.
58. الشافعي، محمد بن إدريس: **الأم**، إشراف: محمد زهيري النجار، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1393هـ/ 1973م.
59. الشكعة، مصطفى: **الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.
60. شوحان، أحمد: **سلسلة الأبطال**، مكتبة التراث، د.م، ط، 1982م.
61. الشوكاني، محمد علي محمد: **فتح القدير**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م.
62. الشوكاني، محمد علي محمد: **نيل الأوطار**، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1421هـ/ 2000م.
63. الشيباني، أحمد بن حنبل: **المسند**، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، 1419هـ/ 1998م.
64. الشيباني، أحمد بن حنبل: **المسند**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1369هـ/1950م.
65. الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.
66. الطرطوشي، أبي بكر محمد بن الوليد القرشي: **بر الوالدين**، تحقيق: محمد عبدالحكيم القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، 1423هـ/2002م.
67. عبدالباقي، محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1408هـ/1988م.
68. عبداللطيف، رشاد أحمد: **في بيتنا مسن**، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية، د.ط، 1420هـ/2001م.
69. عريقات، أسامة: **نافذة على الشيخوخة**، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1412هـ/ 1991م .
70. العسقلاني، أحمد بن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز، دار السلام، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م.
71. العقاد، عباس محمود: **عبقرية خالد**، نهضة مصر، القاهر، د.ط، د.ت

72. علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1980م.
73. عيد، يوسف: **ديوان جرير**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م.
74. عيسوي، عبدالرحمن: **اضطرابات الشيخوخة وعلاجها**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1989م.
75. الغزالي، محمد: **تراثنا الفقهي في ميزان الشرع والعقل**، دار الشروق، ط1، 1411هـ/1991م.
76. الغزالي، محمد بن محمد: **مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.
77. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **كتاب العين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.
78. فياض، محمد وزميله: **الأمومة والطفولة في مصر القديمة**، دار البستاني، القاهرة، د.ط، 2001م.
79. القرافي، أحمد بن إدريس: **الذخيرة**، تحقيق: محمد أبوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م.
80. القصار، عبدالعزيز خليفة: **صوم الشيوخ المسنين**، دار بن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ/ 1999م.
81. الكاندهلوي، محمد يوسف: **حياة الصحابة**، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1422هـ/2002م.
82. الكيلاني، يوسف: **الشيخوخة والصحة**، دار ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1983م.
83. مرعي، مرعي عبدالله: **أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عزوجل في الفقه الإسلامي**، مكتبة العلوم والحكم، سوريا، ط1، 1423هـ/ 2003م.
84. محمد، حسن عبدالباسط: **أصول البحث الاجتماعي**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 1980م.
85. مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية، استانبول، د.ط، د.ت.
86. المطوع، نسيبة عبدالعزيز العلي: **سلسلة رؤية لمنهج تربوي اجتماعي ثقافي إسلامي**، الكويت، بيت التمويل الكويتي، د.ط، 1415هـ/1997م.
87. المقدسي، شمس الدين عبدالرحمن بن أبي عمر: **الشرح الكبير**، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأوفست، 1392هـ/ 1972م.
88. مكتبي، نذير محمد: **صفحات رائدة في مسيرة العدالة**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1319هـ/ 1998م.
89. المنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي: **الترغيب والترهيب**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.

90. المنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي: **الترغيب والترهيب**، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1417هـ/1996م.
91. المنفلوطي، مصطفى لطفي: **النظرات**، تقديم: جبرائيل سليمان جبّور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1402هـ/ 1982م.
92. الميداني، عبدالرحمن حبنكة: **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، ط4، 1417هـ/1996م.
93. ميقا، أبوبكر إسماعيل محمد: **أحكام المريض في الفقه الإسلامي**، د.ت، المملكة العربية السعودية، ط3، 1401هـ/ 1981م.
94. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي: **سنن النسائي**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط3، 1421هـ/ 2000م.
95. النووي، يحيى بن شرف: **شرح صحيح مسلم**، مراجعة: خليل الميس، دار القلم، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م.
96. النووي، يحيى بن شرف: **المجموع**، مطبعة الإمام، مصر، د.ط، د.ت.
97. النيسابوري، محمد بن عبدالله الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبدالقارد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م.
98. النيسابوري، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، د.ط، د.ت.
99. النيسابوري، مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط3، 1421هـ/ 2000م.
100. الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين: **كنز العمال**، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، د.ت.

مجلات ودوريات ومؤتمرات

****

1. آل شارع، عبدالنافع وزميله: **" سيكولوجية الشيخوخة في ضوء الهدي النبوي"**، رعاية المسنين في الإسلام، دار البحوث العلمية، الكويت، د.ط، 1408هـ/ 1988م.
2. أبو حديد، محمد فريد: **" الشرق الإسلامي غدا"**، مجلة الثقافة، العدد 290، الثلاثاء 27 رجب 1363هـ/ يوليه 1944م، السنة 6.
3. إسماعيل، صبحي: " بر الوالدين كيف يتحقق"، مجلة الفرحة، العدد 62، الكويت، نوفمبر 2001م.

4. إسماعيل، عزت سيد: **" الشيخوخة في عصرنا الراهن"**، المكتب التنفيذي، رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية رقم 18، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين، ط1، 1992م.
5. البوزيدي، علال: **"مكانة الشيخوخة في ضوء الفكر الإسلامي"**، منار الإسلام، العدد6، جمادي الآخرة 1410هـ/1990م.
6. الجذور: **" في دار بنك البحرين الوطني"**، اللجنة الوطنية للمسنين، شعبان 1424هـ/أكتوبر 2003م.
7. جريدة البيان، دبي، الأحد 16 ذي الحجة 1421هـ/ 11 مارس 2001م.
8. جريدة البيان، دبي، الثلاثاء 14 ذو الحجة 1422هـ/ 26 فبراير 2002م.
9. الجريدة الرسمية، البحرين، العدد 1131، الخميس 10 يوليو 1975م.
10. الأحمدي، رغداء: **"حقوق المسنين الاجتماعية والاقتصادية والقانونية"**، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ندوة رعاية المسنين، الجمهورية العربية السورية، وزارة التعليم العالي، دمشق 10-11 ذي القعدة 1420هـ/14-15 شباط 2000م.
11. الحكمة: " كلمة المحرر"، العدد3، محرم 1423هـ/ أبريل 2002م.
12. الخيمي، إنتصار: **"الرعاية الاجتماعية والاقتصادية للمسنين"**، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، ندوة رعاية المسنين، الجمهورية العربية السورية، وزارة التعليم العالي، دمشق 10-11 ذي القعدة 1420هـ/14-15 شباط 2000م.
13. درويش، بسام علي: **" مراجعة شاملة للمفاهيم السائدة عن المسنين"**، جريدة البيان، دبي، الأربعاء 21 ذي الحجة 1419هـ.
14. دستور دولة الإمارات العربية المتحدة.
15. الرماني، زيد محمد: **"الإهتمام بالمسنين"**، جريدة الجزيرة، ط1، العدد 10465، الخميس 1 ربيع الأول 1422هـ.
16. الرماني، زيد محمد: **" روافد رعاية المسنين"**، جريدة الجزيرة، ط1، العدد 10486، الخميس 22 ربيع الأول 1422هـ.
17. السلمان، محمد عودة: **" رعاية المسنين في الإسلام"**، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد 395 السنة 35، رجب 1419هـ/ أكتوبر 1998م.
18. الشاعر، سوسن: **" جحود الأبناء حكايات مأساوية من دار العجزة"**، جريدة الأيام، البحرين، 1990/1/82م.
19. الشريده، خالد: **" رعاية المسنين بين القيم الدينية"**، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، المجلس القومي للخدمات حول الرعاية المتكاملة للمسنين في مصر، المؤتمر الإقليمي الأول لرعاية المسنين، جامعة حلوان، 3-5 أبريل 2000م.
20. شريف، يس: **"رؤيـة المجالس القومية المتخصصة"**، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، المجلس القومي للخدمات حول الرعاية المتكاملة للمسنين في مصر، المؤتمر الإقليمي الأول لرعاية المسنين 3-5 أبريل 2000م، جامعة حلوان.

21. عبدالحميد، عبدالحميد عبدالمحسن: **" الاتجاهات الحديثة في رعاية المسنين"**، ورقة عمل مقدمة إلى ورشة عمل تحت عنوان: رعاية المسن واقع وتطلعات، أكتوبر 1993م، أبوظبي.
22. العبد، حامد عبدالعزيز: **"الشيخوخة خصائصها ومراحلها ووسائل علاجها"**، المكتب التنفيذي، رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية رقم 18، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين، ط1، 1992م.
23. العسل، إبراهيم حسين: **" الإسلام ورعاية المسنين"**، مجلة التقوى، العدد 93، ربيع الأول 1421هـ/ 2000م.
24. العمران، هالة: **"التوافق عند المسنين"**، المكتب التنفيذي، رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة ، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية رقم 18، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين، ط1، 1992م.
25. عقود العمل لموظفي دار المنار لرعاية الوالدين في مملكة البحرين.
26. فؤاد، أحمد علي: **"الأبعاد الاجتماعية لرعاية المسنين"**، المكتب التنفيذي، رعاية المسنين في المجتمعات المعاصرة، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية رقم 18، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، البحرين، ط1، 1992م.
27. الكردي، عبدالرحيم: **" تجربة الشيخوخة في الشعر العربي القديم"**، المؤتمر الإقليمي الأول لرعاية المسنين، 3-5 أبريل 2000م، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، جامعة حلوان.
28. محمد، سعيد: **" سيرة الحضارة البحرينية"**، الأيام، ملحق خاص بمناسبة العيد الوطني، الأثنين 10 شوال 1423هـ، العدد 5034.
29. محمود، رفعت عبدالباسط: **"دراسة تقويمية للخدمات المقدمة للمسنين في المؤسسات الإيوائية"**، مركز الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين، المجلس القومي للخدمات حول الرعاية المتكاملة للمسنين في مصر، المؤتمر الإقليمي الأول لرعاية المسنين 3-5 أبريل 2000م، جامعة حلوان.
30. مركز زايد للتنسيق والمتابعة: **"المسنون في دولة الإمارات العربية المتحدة"**، دولة الإمارات العربية المتحدة، د.ط، د.ت.
31. وزارة الإعلام: **" البحرين على طريق التقدم"**، المطبعة الحكومية، البحرين، د.ط، د.ت.
32. وزارة التعليم العالي: **" ندوة رعاية المسنين"**، دمشق، 10-11 ذي القعدة 1420هـ/ 14-15 شباط 2000م.

المراجع الأجنبية

****

1-Criticl practice in social work, Edited by rbert, Domineli and Malcolm, payne publisheed by Palgrave, 2000.
2-Social work with Older People, third edition 1996, Mary Maeshall and Dixon, Macmillan press ltd.
3- Office for National Statististics, UK

الفهرس

****

الموضوع **الصفحة**

شكرا وتقدير **4**
كلمة مجلس إدارة مركز البديل للتدريب والتطوير **5**
المقدمة **6**
أهمية الدراسة..... **4**

الفصل الأول
مدخل إلى مفهوم المسن

المبحث الأول: تحديد معنى المسن..... **10**
المطلب الأول: المعنى اللغوي..... **10**
المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي..... **12**
المبحث الثاني: تصنيف المسنين..... **15**
المطلب الأول: العاملون المستمرون في العطاء..... **15**
المطلب الثاني: الذين ترعاهم أسرهم..... **15**
المطلب الثالث: الذين لا معيل لهم..... **16**

المبحث الثالث: المتغيرات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة 17
المطلب الأول: المتغيرات العقلية 17
المطلب الثاني: المتغيرات الجسمية 19
المطلب الثالث: المتغيرات النفسية 22
المطلب الرابع: المتغيرات الاجتماعية 25
المبحث الرابع: احتياجات مرحلة الشيخوخة 26
المطلب الأول: الرعاية الأسرية 26
المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية 29
المطلب الثالث: الرعاية الصحية 31
المطلب الرابع: الرعاية المعيشية 33

الفصل الثاني
نظرة الأمم القديمة إلى المسن

المبحث الأول: نظرة بعض الأمم القديمة إلى المسن 36
المطلب الأول: المسنون عند المصريين 36
المطلب الثاني: المسنون عند اليونان 38
المطلب الثالث: المسنون عند العرب قبل الإسلام 38
المبحث الثاني: الشيخوخة كما يراها الأدباء والشعراء 40
المطلب الأول : الشيخوخة كما يراها الأدباء 40
المطلب الثاني : الشيخوخة كما يراها الشعراء 42
أمثلة شعرية حول الشيخوخة 43

الفصل الثالث
رعاية المسنين في الإسلام

المبحث الأول: الأحكام الشرعية في حقوق الوالدين والوصية بهما 46
المطلب الأول: بر الوالدين والإحسان إليهما 47
المطلب الثاني: بر الوالدين مقدّم على حبّ الأهل وصلاة التطوع 52
المطلب الثالث: رعاية الوالدين كالجهاد في سبيل الله تعالى 54
المطلب الرابع: مصاحبة الوالدين الكافرين 55
المطلب الخامس: صلة الوالدين بعد موتهما 58
المطلب السادس: العقوق 61

عواقب عقوق الوالدين 62
المبحث الثاني: تكريم الإسلام للمسنين 65
المطلب الأول: تكريم ذي الشيبة وتوقيره 65
المطلب الثاني: رعاية الكبار في الحروب 69
المطلب الثالث: طول العمر مع العمل الصالح أمر محبّب في الإسلام 71
المبحث الثالث: التخفيفات الشرعية الواردة في حق المسنين 73
المطلب الأول: صلاة كبير السن 74
المطلب الثاني: صوم كبير السن 76
المطلب الثالث: حج كبير السن 78
المطلب الرابع: جهاد كبير السن 81
المطلب الخامس: لباس المرأة الكبيرة 82

الفصل الرابع
مواقف في الرعاية والعقوق

المبحث الأول: مواقف في العقوق 86
المطلب الأول : مفهوم العقوق ومظاهره 86
المطلب الثاني : قصص في العقوق 88
المبحث الثاني: مواقف في الرعاية 94
المطلب الأول: إنشاء المؤسسات الاجتماعية 94
المطلب الثاني: قصص في الرعاية 95

الفصل الخامس
حقوق المسن على المجتمع

المبحث الأول: حقوق ذوي الأرحام 107
المطلب الأول : تعريف الرحم لغة واصطلاحا 108
المطلب الثاني: وسائل صلة الرحم 108
المطلب الثالث: فضل صلة الرحم وثوابها 109
المطلب الرابع: جزاء قطيعة الرحم 114
المبحث الثاني: حقوق الجار 116
المطلب الأول: منزلة الجار 116
المطلب الثاني: أنواع الجيران وحد الجيرة 117

المطلب الثالث: جزاء من يؤذي جاره 119
المبحث الثالث: حقوق الكبير 120
المبحث الرابع: هل يحتاج المجتمع الإسلامي إلى دور الرعاية 125

المقترحات والتوصيات 127
الأول: تقديم كافة الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية للمسنين 127
الثاني: الإستفادة من أوقات المسنين 128
الثالث: عدم عزل المسنين 129
الرابع: تأمين وسائل الترفيه ضمن الامكانيات وفي حدود الشريعة 130
الخامس: إيجاد برامج تنمي مهارات المسنين 130
السادس: تكريس مبدأ التواصل بين المسن وذويه 131
السابع: الإرشاد التربوي والتأهيل المهني للمسن 132
الثامن: وضع سياسات اجتماعية تخدم المسنين 132
التاسع: إبراز مبدأ رعاية الوالدين والمسنين في الإعلام والمناهج 132
العاشر: الاعتناء بصحة المسن 133
الحادي عشر: إيجاد قاعدة معلومات عن المسنين 135

الخاتمة 136
المصادر والمراجع 138
الفهرس 148

الباحثان

الدكتور علي الإبراهيم

الدكتور عادل المرزوقي

مؤلفات للباحثين:

1- السلسلة الأربعينية للأسرة المسلمة.
2- الدليل التربوي لذوي الاحتياجات الخاصة في مملكة البحرين.
3- الدليل التربوي لذوي الاحتياجات الخاصة في مملكة البحرين (بلغة برايل للمكفوفين).
4- عشر دروس من شهر رمضان المبارك (انجليزي).
5- أشهر الأسئلة المثارة حول شهر رمضان المبارك (انجليزي).
6- الكتاب الاسترشادي المصور نحو تيسير تأقلم معيشة ذوي الإعاقة في البيئة المحيطة.
7- موسوعة دليل العمل التطوعي في مملكة البحرين.
8- الشيخ عيسى بن راشد آل خليفة هرم الرياضة البحرينية الحديثة.

إصدارات تحت الطبع

1- البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية بين السائل والمجيب.
2- روائع الحياة الزوجية.
3- الدليل الميسر للمنح والإعانات.
4- مواقف مشرفة لمملكة البحرين على الصعيد المحلي والعربي والعالمي.
5- الموسوعة التدريبية المهنية.
6- موسوعة المسئولية الاجتماعية.